الباب الأول

مفهوم المحبة في مصادر الدعوة

الفصل الأول :مفهوم المحبة

المبحث الأول: تعريف المحبة وفضائلها

المطلب الأول: تعريف المحبة

المطلب الثاني: فضائل المحبة

المبحث الثاني: أنواع المحبة وأحكامها

المطلب الأول: أنواع المحبة

المطلب الثاني: أحكام المحبة

الفصل الثاني: وصف المحبة في الكتاب والسنة و تأثيرها في العلاقات

المبحث الأول: وصف محاب الله و مساخطه

المطلب الأول : محاب الله

المطلب الثاني: مساخط الله

المبحث الثاني: تأثير المحبة في العلاقات

المطلب الأول : الصلات الحميدة

المطلب الثاني: الصلات الذميمة

الفصل الثالث:موجبات محبة الله في القرآن و السنة

المبحث الأول: تحقيق التوحيد

المطلب الأول : أقسام التوحيد

المطلب الثاني: الولاء و البراء

المبحث الثاني: الفرائض والنوافل

المطلب الأول: الفرائض

المطلب الثاني: النوافل

الباب الأول

مفهوم المحبة في مصادر الدعوة

تمهيد

إن معنى المحبة الواسع ودورها الكبير في الحياة، يجعل لها الفضل والتفضيل على الكثير من الصفات، حيث هي فاعلة في حياة الناس، وعلاقاتهم ومتعلقاتهم، شعروا بذلك أم لم يشعروا، فإن الإحساس بها والإدراك لآثارها يحصل لكل فرد في المجتمع ، ورؤية الأثر أو التلذذ بها أو الألم منها؛ يُمَكِّنُنَا من معرفة أسبابها وتحليل نتائجها، وتصنيف أنواعها، وهل في حكم الشريعة أو العرف، هي من المحمود أو المذموم ؟ وبهذا الفهم نحصل على الصفوة من جميل الأقوال والأفعال المحببة، وتطهر القلوب والنفوس، بما تحمل من حميد المشاعر والمعاني والقيم، وتزكو بما تطرد من مضادات المحبة من الكراهة والبغض، والحسد والحقد والغيبة، ونسعد بما نرفض من معاني المحبة المنحرفة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1] فمن توجيهات هذه الآيات، حفظ مقومات العلاقة بين المؤمنين حيث أمرت بحسن الظن واجتناب إثمه ، والبعد عن الإساءة الخفية بالتجسس والغيبة؛ لنحذر من الإساءة الظاهرة. والحاصل من ذلك بلوغ المحبة بين المسلمين، وإقامتها على أصول قوية من الإيمان.وكذلك من توجيهات هذه الآيات، التذكير بأصل البشر الناتج عن المحبة بين الذكر والأنثى، القائم على المزاوجة، وانتشار الأبناء في أجناس متشعبة في شعوب، وتفرقهم في قبائل متقابلة، وعرَّفَت بالحق الذي بينهم، وهو التعارف بكل ما تحمله الكلمة من معان عظيمة ، في تكوين علاقات التعارف، وكسب المعرفة والأمر بالمعروف وإقامة العرف ومعرفة بعضهم بعض، وأيضا بينت ميزان التفاضل بينهم وهو التقوى، وأن به منال الكرم من الله، ومن أكرمه الله فقد أحبه، ومن أحبه الله سعد في الدنيا والآخرة، وطريق السعادة الإيمان بالله، ومن سبله المحبة وإفشاء السلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا.أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ »[2].

وعلى أثر هذه المعاني الأولية للمحبة، سوف أعرض هنا في هذا الباب، مفهوم المحبة في مصادر الدعوة الأصيلة –الكتاب والسنة –لغة واصطلاحا في ثلاثة فصول، لكل فصل مبحثان ، وتحت كل مبحث مطلبان:

الفصل الأول: مفهوم المحبة.

الفصل الثاني: وصف المحبة في الكتاب والسنة وتأثيرها في العلاقات.

الفصل الثالث: موجبات محبة الله في الكتاب والسنة.

---

(١) سورة الحجرات: ١٢-١٣.

(٢) انظر: صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون أن محبة المؤمنين من الإيمان، حديث رقم : ٢٠٣ (١/ ٥٣).

الفصل الأول

مفهوم المحبة

المبحث الأول: تعريف المحبة وفضائلها

المطلب الأول: تعريف المحبة

المطلب الثاني: فضائل المحبة

المبحث الثاني: أنواع المحبة وأحكامها

المطلب الأول: أنواع المحبة

المطلب الثاني: أحكام المحبة

الفصل الأول

مفهوم المحبة

المبحث الأول

تعريف المحبة وفضائلها

المطلب الأول

تعريف المحبة

أولا: تعريف المحبة في اللغة:

أصل الكلمة في اللغة حرفان (الحاء و الباء) من (حَبَّ)، الحاء متحركة مطلقة، والباء مشددة أصلها من بائين أدغمتا في بعضهما. وقد وردت كلمة (المحبة) على أصلها(حب) في القرآن العظيم في ثلاث وسبعين آية، وفي ثمان وسبعين لفظة على ثلاث وعشرين صيغة بين النفي والإثبات، وهي:

(أَحَب - أَحْبَبْت - ٱسْتَحَبُّوا - وَأَحِبَّاؤُهُ - حَبَّبَ - يُحِب - لَا يُحِب - يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ - تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ - يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ - تُحِبُّون - يُحِبُّون - يَسْتَحِبُّون - يُحْبِبْكُمُ - تُحِبُّوا -تُحِبُّونَهَا - مَحَبَّة - حُبِّه- حُبًّا) .

أورد ابن فارس في معجم مقاييس اللغة معنى الحب في اللغة قال: (الحاء والباء، أصولٌ ثلاثة، الأول: اللزوم والثبات، والثاني: الحَبّة من الشيء ذي الحَبّ، والثالث: وصف القصَر. فالأوَّل الحَبُّ، معروفٌ من الحنطة والشعير. فأما الحِبُّ بالكسر فبُزور[١] الرَّياحين، الواحدُ حبَّة، قال رسول الله ﷺ في قومٍ: " يخرُجون من النَّار فيَنبتُون كما تنبت الحبَّةُ في حَميلِ السَّيل"[٢].قال بعض أهل العلم: كلُّ شيءٍ له حَبٌّ فاسم الحَبّ منه الحبّة. فأمَّا الحنطة والشعير فَحَبٌّ لا غير.ومن هذا الباب حَبَّة القلب: سُوَيداؤه، ويقال ثمرته.ومنه الحَبَب وهو تَنَضُّد الأسنان. قال طرفة:

وإذا تَضْحك تُبدِي حَبَباً *** كرُضَابِ المِسْكِ بالماء الخَصِرْ

---

(١)– البَزْرُ: بَزْرُ البَقْلِ وغيره. انظر: الصحاح للجوهري (٤١/١) والبُزُورُ الحُبُوبُ الصغار مثل بُزُور البقول وما أَشبهها وقيل البَزْرُ الحَبُّ عامَّةً. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٦/٤).

(٢) انظر: صحيح البخاري – كتاب الأذان – باب فضل السجود، حديث رقم:٨٠٦ (١٦١/١). وانظر: صحيح مسلم – كتاب باب الإيمان – باب طريق معرفة الرؤية، حديث رقم: ٤٦٩ (١/ ١١٢).

وأمّا اللزوم فالحُبّ والمَحبّة، اشتقاقه من أحَبَّه إذا لزمه)[١].وكذلك الحبيب يلزم حبيبه ويكون منه في قرب ويصبح متعلقا به حتى يصل حبُّه إلى حَبَّةَ قلبه، ويعيش معه في هناء الوصل وعذاب الفصل؛ فتلك من لوازم المحبة ونتائجها بين الناس.

وتقول العرب للبعير إذا ثبت مكانه، أحَبَّ البعير، ومنه قولهم: (ضَرَبَ بَعيرِ السَّوْء إذْ أَحَبّا) وكذلك الرجل القصير ينعت بالرجل الحِبْحاب. وكذلك يقال أُشْرِبَ فلانٌ حُبَّ فلان، إذا خالطَ قلبه.

والحُبُّ: المحبة، وكذلك الحِبُّ بالكسر. والحِبُّ : الحبيب، والحِبُّ أيضا المَحْبُوبُ وكان زَيْدُ بن حارثةَ رضي اللّه عنه يُدْعَى حبَّ رَسولِ الله ﷺ ، والأَنثى بالهاء، في الحديث(ومن يَجْتَرئُ على ذلك إلا أُسامةَ حِبُّ رسولِ اللّه ﷺ)[٢] أَي مَحْبُوبُه، وكان رسولُ اللّه ﷺ يُحبُّه كثيراً، وفي حديث فاطمَة رضي اللّه عنها، قال لها رسولُ اللّه ﷺ عن عائشة رضي الله عنها: (إِنَّها حِبَّةُ أَبِيكِ)[٣]، الحِبُّ بالكسر المَحْبُوبُ والأُنثى حِبَّةٌ، وجَمْعُ الحِبِّ أَحْبابٌ وحِبَّانٌ.

أورد الجوهري في الصحاح: (والحُبَّةُ بالضم: الحُبُّ، يقال: نَعمْ وحُبَّةً وكرامةً)[٤]وفي لفظ(حبذا) دعوة إلى مرغوب محبوب : مكونة من فعل ماض واسم إشارة، الفعل: حَب، واسم الإشارة: ذا، وتدل على الرغبة في المطلوب كقولك: حبذا الحياة الطيبة.

والحِباب بالكسر: المُحابَّةُ والمَوادَّةُ. والحُبابُ بالضم: الحُبُّ. قال الشاعر[٥]:

فوالله ما أَدري وإني لصادقٌ... أَداءٌ عَراني من حُبابك أمْ سِحْرُ

وفي لسان العرب أورد ابن منظور معنى الحب بنقيضه ومرادفه، قال: (الحُبُّ نَقيضُ البُغْضِ والحُبُّ الوِدادُ والمَحَبَّةُ وكذلك الحِبُّ بالكسر)[٦]. وقال الأَزهري: (وقد جاء المُحَبُّ شاذّاً في الشِّعْر، ومنه قول عَنترة:

ولقد نَزَلْتِ فلا تظُنّي غيره.... مِنّي بمَنزلة المُحَبّ المُكْرَمِ)[٧]

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٢. ص: ٢٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري –كتاب الحدود–باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان،حديث رقم: ٣٤٧٥ (٤/ ١٧٥).وانظر: صحيح مسلم–كتاب الحدود– باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، حديث رقم: ٤٥٠٥ (٥/ ١١٤).

(٣) انظر: سنن أبي داود–كتاب الأدب– باب في الانتصار،حديث رقم: ٤٩٠٠ (٤/ ٤٢٦).وانظر: مسند الإمام أحمد–حديث عائشة رضي الله عنها،حديث رقم: ٢٤٩٨٦ (٤١/٤٥١). تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف على نكارة متنه، علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٤) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠ هـ، ج ٢، ص: ١٦١.

(٥) هو أبو عطاء السندي. انظر: ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي.

(٦) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط١، باب حرف الباء، فصل الحاء، مادة (حبب).ج ١، ص: ٢٨٩.

(٧) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١، ج٤، ص٨.

ومن تقريرات ابن القيم[١] الجوزية أن مادة كلمة حَبَّ تدور في اللغة على خمسة أشياء هي:

١- الصفاء والبياض، ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حَبَبُ الأسنان.

٢- العلو والظهور، ومنه "حَبَبُ الماء وحُبَابَه" وهو ما يعلوه عند المطر الشديد.

٣- اللزوم و الثبات، و منه حَب البعير وأحب إذا برك و لم يقم.

٤- اللب، ومنه حبة القلب للبه وداخله.

٥- الحفظ والإمساك، ومنه إطلاق لفظ (حِبُّ الماء) للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه.

و قال يرحمه الله: (ولاريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة، فإنها صفاء المودة، وهيجان إرادة القلب للمحبوب، وعلوها وظهورها منه؛ لتعلقها بالمحبوب المراد، وثبوت إرادة القلب للمحبوب، ولزومها لزومًا لا تفارقه، ولإعطاء المحبِّ محبوبه لُبَّه وأشرف ماعنده، وهو قلبه، ولاجتماع عزماته وإرداته وهمومه على محبوبه)[٢].

وقال يرحمه الله في بيان الحكمة من تعداد أسماء المحبة عند العرب: (لما كان الفهم لهذا المسمى أشد وهو بقلوبهم أعلق كانت أسماؤه لديهم أكثر، وهذا عادتهم في كل ما اشتد الفهم له أو كثر خطوره على قلوبهم، تعظيما له أو اهتماما به، أو محبة له، فالأول: كالأسد والسيف،والثاني: كالداهية، والثالث: كالخمر، وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثة في الحب فوضعوا له قريبا من ستين اسما)[٣]. وفي اللغة تأتي هذه الأسماء الستون على أصول ومعان ذات علاقة بالحب والمشاعر الناتجة عنه والمؤدية إليه، أوجزها في الآتي:

١- المحبة: من (حَبَّ) وتعني لب الشيء، ومنه حَبَّة القلب ولزوم الحُبِّ للمُحِبِّ.

٢- العلاقة: من(عَلقَ) وتعني العِلاقَةُ بالكسر: عِلاقَةُ القوس والسوط ونحوهما. والعَلاقَةُ بالفتح: عَلاقَةُ الخصومةِ، وعَلاقَةُ الحبِّ.

٣- الهوى: من(هَوِيَ) ويَهوى هَوًى، أي أحَبَّ،ولفظ الهواءُ ممدودٌ: أي ما بين السماء والأرض، ولفظ الهَوَى مقصورٌ: هَوَى النفس.

٤- الصبوة: من(صَبا) أي مَالَ، ويَصْبو صَبْوَةً وصُبُوءاً، أي مال إلى الجهل والفتوّة. وصبا: مال إلى مَحْبُوْبِه.

٥- الصبابة: من(صبب) وصَبَبْتُ الماءَ صبًّا فانْصَبَّ، أي سكَبته فانسكب، ويقال رجل صبٌّ: عاشقٌ مشتاقٌ.

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ، ص: ١٧ – ١٨.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣ هـ، ج٣، ص: ١٠.

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ. ص: ١٦.

٦- الشَّغف: من(شغف) والشَغافُ: داءٌ يأخذ تحت الشَراسيف من الشق الأيمن والشَغافُ أيضاً: غلافُ القلب، وهو جلدةٌ دونَه كالحجاب. يقال: شَغَفَه الحُبُّ، أي بلغ شَغافَه. وقد جَاءَ ذلك في القُرْآن الكريم عند الحديث عن امرأة العزيز في حبها ليوسف عَلَيْه السَّلام عَلَى لسان النسوة اللاتي في المدينة قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]

٧- المِقَة: من (وَمَقَ) المقة هي المحبة، وَمَقَه أي: أحبه.

٨- الوِجْد: من (وَجَدَ) والوِجْدُ هو الحب الذي يتبعه الحَزَنُ، ووَجَدَ مطلوبه من وجود الضالة.

٩- الكَلَف: من(كَلَف) والكُلْفَة هي المشقة وقيل: من أثر لون على الوجه، و الكَلَف من أسماء الحُبِّ، فالمحب كَلِفٌ بمحبوبه، أي: مشغول به.

١٠- التتيم: من (تيم) والتتيم هو التعبد، وتيم الله أي: عبد الله، وتيَّمه الحب: عبده وذل له فهو متيم.

١١- العشق: من (عشق) وهو فرط الحب، وقيل مأخوذ من شجرة تخضر ثم تدق وتصفر وتعلق بالأشجار، ومنه تعلق المحبوب بمحبوبه.

١٢- الْجَوى: من (جَوي) والجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن.

١٣- الدَّنف: من (دنف) وهو المرض الملازم فأطلق على ملازمة المحب لحبيبه

١٤- الشَّجو: من (شَجِيَ) والشجا ما ينشب بالحلق ويلزمه، ومنه رجل شجٍ وامرأة شجية وأطلق على الحب لما به من اللزامة والحزن.

١٥- الشَّوق: من (شوق) وهو نزاع النفس إلى الشيء، وهو حرقة المحب إلى لقاء حبيبه

١٦- الخلابة: من (خلب) والخلب من الحجاب الذي بين القلب وسواد البطن، وسمي الحب الخادع خلابة؛ لأنه يخدع الباب أربابه.

١٧- البَلابل: من (بَلْبَلَ) وبلابل الحب هي وساوسه وهمومه.

١٨- التَّبَاريح: من (برح) وهو الشدة والأذى، وبرح به الحب أصابه الأذى أو الشدة

١٩- السَّدم: من (سدم) وهو الندم وأطلق على الحب الذي يتبعه الندم.

٢٠- الغمرات: من (غمر) وهو الغطاء بالكثرة، وغمرات الحب ما يغطي قلب المحب فيغمره.

٢١- الوهل: من (وهل) وهو الفزع والروع، وهو روعة وفزعة المحب من رؤية محبوبه ومنها يقال رائع الجمال.

٢٢- الشجن: من (شجن) وهو شدة الحاجة، والحزن من أجلها، والحب فيه الأمران.

---

(١) سورة يوسف: ٣٠.

٢٣- اللَّاعج: من (لعج) ولعجه الضرب أي آلمه وأحرق جلده، وأطلق على حرقة الفؤاد من الحب.

٢٤- الاكتئاب: من (كأب) والكآبة سوء الحال والانكسار من الحزن، وتتولد من حصول الحب وفوت المحبوب.

٢٥- الوصب: من (وصب) وهو المرض والتعب،ومنه ألم الحب ومرضه.

٢٦- الحزن: من (حزن) وهو خلاف المسرة، وهو حالة تأثر تحدث للمحب فيحزن ويضيق.

٢٧- الكمد: من (كمد) وهو الحزن المكتوم.والكمدة تغير اللون.

٢٨- اللذع: من (لذع) وهو الحرقة ولذعته النار أي: أحرقته ومنه حرقة الحب.

٢٩- الْحَرق: من (حرق) وتكون الحرقة من الحب وتكون من الغيظ.

٣٠- السَّهد: من (سهد) والسهاد: الأرق من أثر الحب، ومنه السهر وعدم النوم.

٣١- الأرق: من (أرق) وهو السهر.

٣٢- اللَّهف: من (لهف) وهو الحسرة على ما فات.واللهيف: المضطر.

٣٣- الحنين: من (حنّ) وهو الشوق و توقان النفس وأيضا الرحمة.

٣٤- الاستكانة: من (السكون) و المستكين الخاشع، والسكون الحالة التي بها إنابة وذل وخضوع.

٣٥- التَّبَالة: من (تَبَلَ) وتَبَلَه الحب أي أسقمه وأفسده.

٣٦- اللَّوعة: من (لاع) الحرقة: لوعة الحب وحرقته.ولاع الفؤاد احترق من الشوق.

٣٧- الفُتون: من (فتن) ويدل على الامتحان والفتنة والحرقة. والحب موضع فتنة بين المحب والمحبوب.

٣٨- الْجُنون: من (جن) وهو من الستر. والحب يستر العقل عما ينفعه أو يضره بسبب المحبوب

٣٩- اللَّمم: من (لَمَّ) والذي به لمم أي أصيب بالمس وهو طرف من الجنون.

٤٠- الْخَبل: من (خبل) وهو الفساد. وفرط الحب قد يفسد العقل.

٤١- الرَّسيس: من (رس) وهو الشئ الثابت ورسيس الحب ثباته ودوامه.

٤٢- الدَّاء: من (دوي) وهو المرض والعشق داء.

٤٣- المخامر: من (خمر) ويعني غطى وخالط الحب روح صاحبه وغطى قلبه.

٤٤- الوُد: من (ود) وهو خاص الحب وألطفه وأرقه.

٤٥- الْخُلَّة: من (خلل) وهي عندما تتخلل المحبة إلى مسالك القلب ويوحد المحب حبه لمحبوبه فهو خليله دون غيره.

٤٦- الْخَلم: (خلم) والمخالمة: المصادقة والموادة والمصاحبة.

٤٧- الغَرام: من (غرم) وهو اللزوم. ومنه الغريم الذي عليه الدين فيلازمه صاحب الدين.ومغرم بالحب أي لزمه الحب ومنه أيضا الوُلُوع بالشيء.

٤٨- الْهِيام: من (هام) وهو أشد العطش وقيل مرض يأخذ الإبل فتهيم في الأرض لا ترعى وقيل: الإبل العطاش.

٤٩- التَّدليه: من (دله) وهو الحيرة والدهشة، ومنه ذهاب العقل من الهوى.

٥٠- الوَله: من (وله) وهو ذهاب العقل، ويطلق على الحيرة من شدة الوجد ومنه وله الأم على ابنها.

٥١- التَّعبد: من (عبد) وهو غاية الذل، ويطلق على غاية الحب،حيث يذل المُحِب لِمَحْبُوبه.

ثانيا: تعريف المحبة في الاصطلاح العام:

إن المحبة من الألفاظ واسعة المعنى، وتدخل حين التعريف بها في مضمون الاتساع والتفرع، واختلاف التنوع. واجتذاب المعاني بينها وبين مرادفاتها أدى إلى اجتماعها في معنى واحد ومقصود، تعارف الناس على فهمه، هو المحبة، ولأن المعاني مشاعر غير محسوسة ليست مما يدرك بوسائل الإحساس كالسمع والبصر واللمس؛ فلا يمكن تعريفها في حدود وصفات جامعة مانعة، كما هو ممكن في جنس المادة المحسوس، فإن قيل: ما التعريف الجامع المانع مثلا للجَمَال، فإن العقول تحتار وتختلف العبارات في الوصف والحدود، بين النقص والمبالغة، وبين المشروع والممنوع، وكذا لفظ (المحبة) قال ابن حجر في الفتح: (وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة، من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وجدانًا لا يمكن التعبير عنه)[١] وأكد ابن أبي العز[٢] في شرحه للعقيدة الطحاوية على الاختلاف في تعريف المحبة في قوله: (وقد اختلف في تحديد المحبة على أقوال، نحو ثلاثين قولا، ولا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد، كالماء والهواء والتراب والجوع والشبع ونحو ذلك)[٣] وهذا جزء من تقرير الإمام ابن قيم الجوزية في كتابيه مدارج السالكين و روضة المحبين اللذين

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ١٠، ص: ٤٦١ - ٤٦٢.

(٢) علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي، ولد في ٧٣١هـ وتوفي في ٧٩٢هـ. فقيه، كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق. وامتحن بسبب اعتراضه، على قصيدة لابن أيبك الدمشقي.له كتب، منها (التنبيه على مشكلات الهداية) و (النور اللامع فيما يعمل به في الجامع) و (شرح العقيدة الطحاوية).انظر: الإعلام للزركلي (٣١٣/٤). ودرس وأفتى وخطب، ولي قضاء دمشق ثم ولي قضاء مصر بعد ابن عمه فأقام شهرا ثم استعفى ورجع إلى دمشق على وظائفه ثم بدت منه هفوة، فاعتقل بسببها وأقام مدة مقترا خاملا إلى أن جاء الناصري فرفع إليه أمره، فأمر برد وظائفه فلم تطل مدته بعد ذلك وتوفي.انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب للعكري (٣٢٦/٦).

(٣) – شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي الحنفي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩١هـ، ص: ١٦٤.

وجدت عليهما الاعتماد في جل من كتب بعده في موضوع المحبة، قال يرحمه الله في المحبة: (ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهرَ من المحبة.وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدها، وثمراتها، وأحكامها؛ فحدودهم، ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات بحسب إدراك الشخص، ومقامه، وحاله، ومِلْكِه للعبارة)[1] وحدد يرحمه الله بعض التعريفات لمن قال في المحبة، واجتهد في تحصيل المعنى لها، وحدد مراتبها،وصنف أبوابها، اجتهادا منه في التأصيل والتحصيل، وهو من أعلم من كتب دقة، وله المقام العالي في التعليق والتحقيق والتأصيل، ومما ذكر من التعريفات الاصطلاحية العامة:

١-الميل الدائم بالقلب الهائم.

٢- مواطأة القلب لمرادات المحبوب.

٣- سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب.

٤- الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته، والحرية من استرقاق ما سواه.

٥- سفرُ القلب في طلب المحبوب، ولهجُ اللسان بذكره على الدوام.

٦- تعلق قلب المحب بالمحبوب.

٧- المحبة الميل إلى ما يوافق المحب.

ومن يحاول صياغة المعاني المتناثرة في التعريفات السابقة للمحبة، لا يصل إلى صياغة عامة إلا وتوصف بالقصور، ومن ذلك محاولتي هذه في تحديد التعريف الاصطلاحي العام لها،حيث هي: تعلق القلب والذهن بما يُبتغى به الشعور بالسرور،حسا وقولا وعملا ويقتضي الفرح والطاعة واللذة والحزن والألم .

ثالثا: تعريف المحبة في الاصطلاح الشرعي:

لقد جاء لفظ (المحبة) في القرآن والكريم والسنة المطهرة، على عدة صيغ لغوية صرفية تم إيضاحها سلفا في التعريف اللغوي لمعنى المحبة حسب أصلها. وقبل الوقوف على المعنى الاصطلاحي الشرعي للمحبة، لابد من معرفة أن المحبة في القرآن والسنة جاء ت بمعان عديدة، ضمن أسلوبي الترغيب والترهيب، على سبيل الحث والإثبات أو على سبيل النفي والنهي، وهذه المعاني يرتبط بعضها مع بعض في أبواب الشريعة، من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات والسلوك. فقد جاءت المحبة مبينة في معان وألفاظ من غير أصل لفظها(الحب)، كالمرادفات: من المودة والألفة والرضا والولاء والطيب، وجاءت مبينة من الأضداد، وتعرف الأشياء بأضدادها ومن ذلك: (البغض) والعداوة والكراهة والسخط و البراء والخبث، وبموجب

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣ هـ، ج٣، ص: ٩.

هذا الارتباط تكون الأسباب وتأتي النتائج، وتظهر العلامات وتُحَصَّل الثمار وتوصف الحدود وتصدر الأحكام ، وكل ذلك يدخل من بابها ويخرج إليها.وليس عند هذا الحد يتضح المعنى الشرعي للمحبة، إلا إذا علمنا عمق المقصود بالمكروه المحبوب، والمحبوب المكروه من قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١] أورد القرطبي في تفسيره: (" عسى" من الله إيجاب، والمعنى عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة، وهو خير لكم في أنكم تَغْلبون وتَظْفرون وتَغْنمون وتُؤْجرون، ومن مات مات شهيدا، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم، في أنكم تُغلبون وتُذلُّون ويذهب أمركم.قلت: وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد ! وأسر وقتل وسبى واسترق، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته! وقال الحسن في معنى الآية: لا تكرهوا الملمات الواقعة، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تحبه فيه عطبك، وأنشد أبو سعيد[٢] الضرير:

رب أمـــر تـــــتقيه... جر أمرا ترتضيه
خفي المحبوب منه... وبدا المكروه فيه)[٣]

ومما يجب معرفته وتقريره، أن معنى المحبة في الاصطلاح الشرعي مرتبط بأنواعها. وممن تصدر ؟ وإلى من تكون ؟ فلا يصلح المقام لأي أحد أن يعرَّف المحبة في الشرع، دون حصر النصوص الشرعية الثابتة من الكتاب والسنة في نوعها، وحسب موضوعها ومقامها، وبيان وجه الاستدلال عليها في معنى ظاهر وصحيح، وممن تصدر؟ وإلى من تؤدى ؟ ومن الأمور الهامة في هذا الشأن الإيضاح والبيان القائم على الدليل الشرعي، في أعظم معاني المحبة وأعلى مقاماتها وهو حب الله ومحبة العبد لربه، فإن كلمات المحبة التي يستعملها بعض المتصوفة[٤] ويستعملها بعض أهل السلوك المعاصرين، تنقسم هنا إلى قسمين :

---

(١) سورة البقرة : ٢١٦.

(٢) أحمد بن خالد اللغوي أبو سعيد الضرير، قال الأزهري: استقدمه ابن طاهر من بغداد إلى خراسان فأقام بنيسابور، وكان قد لقي أبا عمرو الشيباني وابن الأعرابي وغيرهما، وكان قيما باللغة، وأملى كتاب المعاني والنوادر وكان سمر وأبو الهيثم يوثقانه وقال محمد بن الفضل العصاري: بلغ ابن الأعرابي، أن أبا سعيد يروي عنه أشياء كثيرة ، فقال: لمن حضر عنده من الخراسانية، لا تقبلوا من أبي سعيد شيئا يروي عني إلا أشعار العجاج ورؤبة، فإنه عرضهما علي. انظر: لسان الميزان لابن حجر (٤٥١/١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ، ج ٣، ص: ٣٩.

(٤) الصوفية والتصوُّف: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة،كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري.ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك، حتى صارت طرقا عبادية مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخّى غلاة المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية: الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. ويلاحظ أن هناك فروقاً جوهرية بين مفهومي

١) ما يجوز إطلاقه من الكلمات؛ يعني من وصف محبة العبد لربه – عز وجل – فإذا كان ذلك في معنى المحبة، ولم يترتب عليه مخالفة للغة من جهة ما يليق بالله – عز وجل – من صفات الكمال والجمال، والعظمة والجلال، جاز مثل لفظ المودة والشوق، وأشباه ذلك من المعاني المضبوطة بضوابط الشرع، وإلا يمنع القول به.

٢) ما يُمنع إطلاقه من الكلمات، وهو ما لم يَرِدْ به الدليل أو ما كان مشتملاً على معان باطلة، أو من الألفاظ التي تمتنع مع الله: كالعشق والغرام والتَّتَيم ونحو ذلك.

ويصلح لأي أحد استخدام المعنى اللغوي والاصطلاحي العام للمحبة، في مواقف الحياة ومتطلباتها العملية، كالحب والميل والإرادة والشوق، والعشق والتعلق والمودة ونحوها، مادامت تحت ضوابط الشرع وأحكامه، فلا يجوز مثلا التعبد لمحبوب الدنيا والآخرة، لا تعبد للمال بحبه أو الجنة لحبها، لأن التعبد لغير الله شرك فلا معبود بحق إلا الله، ويصح أن تقول أنا في شوق إلى الجنة فأنا أحبها و أعشقها، وأريد المال وأشتاق إليه، وأميل لمظاهر الجمال الخلابة، ووقع فلان في غرام الهوى والحب، وموضوع المحبة وعلاقتها بصفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومحبة النبي ﷺ من الموضوعات التي لها جانب مستقل في هذا البحث إن شاء الله تعالى أثناء بيان أثر المحبة في مجالات الدعوة، عند مطلب العقيدة.وهنا يجب أن نعرف أن من المعلوم شرعا، أن الآيات والأحاديث كثيرة وصريحة في أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُ ويُحَب.بل إن المحبة الصادقة لله وطاعته، هي أس لجميع العبادات.

وخلاصة القول في التعريف الاصطلاحي الشرعي للمحبة: (هو أن معنى المحبة ظاهر تعارف الناس عليه لا يحتاج إلى تعريف كالماء والهواء والجوع والعطش، والمنهج الشرعي فيه المضاء بما مضى عليه سلف الأمة الأخيار، من الإقرار لا الاختيار، وهو البعد عن القول فيه – أي معنى المحبة – إلا بما ورد فيه من الكتاب والسنة، من نص ثابت ومعنى ظاهر صحيح في المحب والمحبوب، يستدل به على الاتباع أو الترك اعتقادا وقولا وعملا)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَسلف الْأمة وأئمة السّنة على إِقْرَار الْمحبَّة على مَا هِيَ عَلَيْهِ)[1] ومدى الاستدلال بهذا القول هو أن المحبة معنى عام يظهر للجميع بمقاصده وأسبابه وآثاره، ولا يتطلب التدقيق والتحقيق فيه كمعنى لتعريفه، وخاصة حين يكون الحديث عنه في علاقة العبد بربه،كما في

الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطَّه أهل السنة والجماعة. واختلف في مرجع أصل الكلمة : نسبة إلى لبس الصوف كلبس الزهاد أصلا ، أو إلى الصُّفة المكان الذي كان يجتمع فيها ذوي الحاجة في مسجد النبي ﷺ على عهده، أو إلى صوفيا: الكلمة اليونانية التي تعني: الحكمة ، أو إلى الصف الأول وقيل غير ذلك ، وما رجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن خلدون وطائفة كبيرة من العلماء من أنها نسبة إلى الصُّوف حيث كان شعار الرهبان من أهل الكتاب الذين تأثر بهم الأوائل من الصوفية، وبالتالي فقد أبطلوا كل الاستدلالات والاشتقاقات الأخرى على مقتضى قواعد اللغة العربية .انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٤٥/١).

(١) جامع الرسائل، أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص: ٢٣٧.

قول شيخ الإسلام هذا، وهذا ما أشار إليه ابن رجب الحنبلي، قال: (وقد كثر في المتأخرين المنتسبين إلى السلوك تجريد الكلام في المحبة، وتوسيع القول فيها بما لا يساوي على الحقيقة مثقال حبة، إذ هو عار عن الاستدلال بالكتاب والسنة، وخال من ذكر كلام من سَلَف من سَلَف هذه الأمة، وأعيان الأئمة، وإنما هي مجرد دعاوي، تشرف بأصحابها مهاوي، وربما استشهدوا بأشعار عشاق الصور، وفي ذلك ما فيه عظيم الخطر، وقد يحكون حكايات العشاق، ويشيرون إلى التأدب بما فيه من الآداب والأخلاق، وكل ذلك ضرره عظيم وخطره جسيم، وقد يكثر ذكر المحبة ويعيدها ويبديها، من هو بعيد عن التلبس بمقدماتها ومباديها، وما أحسن قول ذي النون[١] رحمه الله تعالى وقد ذكر عند الكلام في المحبة فقال: (اسكتوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها، فإن النفوس ممتلئة من الكبر والفخر والغرور (والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور)[٢]) وكثير ما تقترن دعوى المحبة بالشطح والإدلال، وما ينافي العبودية من الأقوال والأفعال)[٣]وهذا في خصوص محبة الله التي تبذل الحياة فيها ومن أجلها، وقد أفلح من وجد حلاوة الإيمان بها، أما محبة الأشياء المعنوية والمادية ومحبة الناس بعضهم لبعض، فلا حصر لأنواعها، ولا حد لأطرافها ، وإنما لها ميزان واحد ترتسم به ضوابط العدل، من سلامة الغاية والمقصد، وصحة الوسيلة والطريقة وفق ما جاء عن الشرع، وما يتوافق مع العقل والعرف، فتلك من لوازم تحقيق المحبة على الوجه الشرعي، ويمكن لي وصف المحبة بما يلي:

إنها حال فرح وسعادة تتحقق بالمكاسب المعنوية والمادية، وتجلبها رغائب أو موانع، يصاحبها شعور بسرور الوصال، أو فرح الانفصال، مما يتطلب مزيدا من الوصل أو الفصل، في تحصيل المرغوب أو اتقاء المرهوب، وخيرها ما جاء منه النفع والأجر والسرور، وشرها ما جاء منه الضر والإثم والشرور، وأعلاها قدرا محبة الله، فتحصل بها السعادة المقرونة بطاعته وإنفاذ أمره، وتدرأ بها الشقاوة المقرونة بمعصيته ومخالفة أمره.

(١) ذُوْ النُّوْن المصْرِيُّ ثَوْبَانُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ، الزَّاهِدُ، شَيْخُ الدِّيَارِ المصْرِيَّة، ثَوْبَانُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ.وَقِيْلَ: فَيْضُ بنُ أَحْمَدَ.وَقِيْلَ: فَيْضُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ النُّوْبِيُّ، الإِخْمِيْمِيُّ.يُكْنَى: أَبَا الفَيْضِ.وَيُقَالُ: أَبَا الفَيَّاضِ.وُلِدَ: فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ المَنْصُوْرِ. وَرَوَى عَنْ: مَالِك، وَاللَّيْث، وَابْنِ لَهِيْعَةَ، وَفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ، وَسَلْمٍ الخَوَّاصِ، وَسُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ، وَطَائِفَة.قِيْلَ: إِنَّهُ مِنْ مَوَالِي قُرَيْشٍ، وَكَانَ أَبُوْهُ نُوْبِيّاً. وَكَانَ وَاعِظاً. وَقَالَ ابْنُ يُوْنُسَ: كَانَ عَالِماً، فَصِيْحاً، حَكِيْماً.تُوُفِّيَ: فِي ذِي القَعْدَةِ، سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ.انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤٣/٢٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري–كتاب النكاح– باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى وغيره من افتخار الضرة،حديث رقم: ٥٢١٩ (٣٥/٧).وانظر صحيح مسلم– كتاب اللباس والزينة– باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشبع بما لم يعط،حديث رقم :٥٧٠٥ (٦/ ١٦٨).

(٣) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: مجدي قاسم، طنطا: دار الصحبة للتراث، ط١، ١٤١١هـ، ص: ٢٧.

المطلب الثاني

فضائل المحبة في الكتاب والسنة

إن من أعظم فضائل المحبة، أن تقود المرء إلى معرفة الله تعالى وعبادته، ويدرك بها حقيقة حياته ومصيره، وطريق سعادته، ويتحقق له الأمن في عيشه ونفسه، وأهله ووطنه وما يملك، فهي صفة ذات فضيلة في مفهومها وغايتها، ضمن حدود موضوعها، ولها فضائل، وأن من جعلها قمة الفضائل كما في دين النصرانية ليمضي في ضلاله وإضلاله ويوهم الناس بالسعادة في دينه، فقد ضل ضلالا بعيدا وافترى على الله إثما عظيما، فلا يمكن أن تكون السعادة بالشرك ! حيث لا يمكن أن تكون المحبة في أعظم معانيها، طريقة موصلة للسعادة إلا إذا ارتبطت بالعقيدة الصحيحة في حق الله تعالى من تحقيق الوحدانية والربوبية والألوهية وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى. وندرك ذلك حين نعلم الفارق بين ما يقرره الإسلام وبين ما يقرره دعاة النصرانية، حيث يقرر دعاتها فيما برز من فرقها المعاصرة[١]المنحرفة أن المحبة قمة الفضائل، ولكن أي محبة ؟ إنها المحبة المرتبطة بعقيدة الباطل، صلب– ابن الله – المسيح عيسى بن مريم في ساعة حب من الله، لخلاص العالم من الخطيئة، وهذا أصل عقدي من أصولهم العقدية. وقد أوجب الإسلام الدعوة إلى تصحيحه، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[٢] ومن عقيدتهم في المحبة أنها قمة الفضائل، بل هي جماع الفضائل كلها، وهي وصية المسيح العظمى؛ فإن من العناصر والأسس في العقيدة النصرانية أن صفة الله المحبة، وتسطر في كتبهم المقدسة بلفظ (الله محبة)[٣]، ومن تعليقات المحققين حول هذا المعنى، قال العلامة رحمة الله بن خليل الكيرانوي معلقا على نصوص من الإنجيل (وفي الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا: ٨ "ومن لا يحب لم يعرف اللّه لأن اللّه محبة ١٦، ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي للّه فينا، اللّه محبة، ومن يثبت في المحبة يثبت في اللّه واللّه فيه" فيوحنا أثبت اتحاد المحبة باللّه، وقال في الموضعين اللّه محبة ثم أثبت التلازم هكذا من يثبت في المحبة يثبت في

---

(١) فرق النصرانية المعاصرة الظاهرة: الكاثوليك – البروتستانت – الأرثودكس. ذكرها الشيخ محمد أبوزهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية)، الرياض: ط ٤، ١٤٠٤ هـ.

(٢) سورة النساء: ١٧١.

(٣) والمعنى من قولهم (الله محبة) أن الله الأب محب لبني آدم وغفر لهم بصلب ابنه – يسوع (عيسى بن مريم عليهما السلام) – والمحبة هي صفة الله التي جاء الكتاب المقدس يدعو لها. قلت: تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، فقد جاؤوا ظلما وزورا، هو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد. وآمنت بالله ورسله و أن عيسى عبد الله ورسوله.

اللّه واللّه فيه)[١] وتظهر عندهم في معنى تدبير الله لخلاص العالم من خطيئة أبيهم آدم؛ لفرط محبته لهم وفيض نعمته عليهم؛ فأرسل المسيح ابنه الوحيد للخلاص والتكفير بصلبه، ورضي عن صلبه– تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا– ليغفر لبني آدم خطاياهم. وأصيل القول وسليله أن هذا هو الإفك المبين والضلال البعيد، والظلم العظيم.قال الله عز وجل: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا)[٢] فإن القول الحق هو أن توحيد الله وتحقيقه هو أعلى الفضائل وأجلها، والمحبة هي إحدى الطرق الموصلة إليه في حدود عقيدة المرء وفعله وقوله. وقد جاءت المحبة في الكتاب والسنة كصفة لها فضائل، تظهر حين يتعامل بها الإنسان حال عبادته لله سبحانه وتعالى ابتغاء مرضاته، وحال تعامله مع البشر في حال السمو بأخلاقه الحميدة وغاياته الرفيعة، وحال سعيه في الأرض بالخير حين يتعامل مع نعم الله ومخلوقاته، في كل شؤون الحياة، وكل ذلك له ميزان في الشريعة من حيث المطلوب المرغوب أو المحذور الممنوع، لذا كان للمحبة التأثير القوي في الحياة الفردية والاجتماعية، ويمكن تقسيم هذا التأثير بمعرفة الأصول المؤثرة، والنتائج المحصلة، وفق فضائل المحبة على عدة مستويات أوجزها فيما يلي:

أولا: فضائل المحبة الجزائية

١) محبة الله ورضوانه:

لن يجد عبد أفضل نعمة، ولا أعظم منة، من الفوز بمحبة الله الدالة على رضوانه، فيكون عاجل البشرى له بالقبول في الأرض، والسعادة فيها، والنعيم المقيم حين لقاء الله له، والفوز بجناته، والتوفيق لرؤية الله جل شأنه، في أمن من الفزع، وأمان من العذاب، بل في روح وريحان، ورب غير غضبان، عند مليك مقتدر، هو الإله الحق، رب غفور شكور، غني كريم.عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: (إذا أحَبَّ اللهُ العبدَ نادَى جبريلَ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فلاناً فأحبِبْهُ، فيُحبُّه جبريلُ فينادي جبريلُ في أهل السماء: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فلاناً

(١) إظهار الحق ، محمد رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي، تحقيق : عمر الدسوقي ، بيروت : المكتبة العصرية ، ج١، ص : ٥٥٩.
(٢) سورة النساء : ١٥٥ – ١٥٩.

فأحبُّوهُ، فيحبُّه[١] أهلُ السماء ثمَّ يُوضعُ له القَبول في الأرض)[٢]. ويتجلى معنى القبول في الأرض للعبد المحبوب من الله وأهل السماء في معنى شامل يدل على إخلاصه وصلاحه، والرضا عنه، والحب له والثناء الحسن عليه، أوضحه في ثلاث نقاط:

أ- إن القبول هو ثمرة الصدق والإحسان مع الله في الطاعة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] ومحبة العبد لله تورثه الإخلاص المقتضي للصدق والإحسان، والمكسب لمحبة الله لعبده، قال ابن الجوزي يرحمه الله: (طهر قلبك من الشوائب، فالمحبة لا تلقى إلا في قلب طاهر، أما رأيت الزارع يستخير الأرض الطيبة ويسقيها ويرويها ثم يثيرها ويقلبها، وكلما رأى حجراً ألقاه، وكلما شاهد ما يؤذى نجاه، ثم يلقى فيها البذر ويتعاهدها من طوارق الأذى؟ وكذلك الحق عز وجل إذا أراد عبداً لوداده حصد من قلبه شوك الشرك، وطهره من أوساخ الرياء والشك، ثم يسقيه ماء التوبة والإنابة، ويثيره بمسحأة الخوف والإخلاص، فيستوي ظاهره وباطنه في التقى، ثم يلقى فيه بذر الهدى، فيثمر حب المحبة، فحينئذ تحمد المعرفة وطناً ظاهراً، وقوتاً طاهراً، فيسكن لب القلب، ويثبت به سلطانها في رستاق[٤] البذر، فيسري من بركاتها إلى العين ما يغضها عن سوى المحبوب، وإلى الكف ما يكفها عن المطلوب، وإلى اللسان ما يحبسه عن فضول الكلام، وإلى القدم ما يمنعه من سرعة الإقدام، فما زالت تلك النفس الطاهرة رائضها العلم، ونديمها الحلم، وسجنها الخوف، وميدانها الرجاء، وبستانها الخلوة، وكنزها القناعة وبضاعتها اليقين، ومركبها الزهد، وطعامها الفكر، وحلواها الأنس، وهي مشغولة بتوطئة رحلها لرحيلها، وعين أملها ناظرة إلى سبيلها، فإن صعد حافظاها، فالصحيفة نقية، وإن جاء البلاء فالنفس صابرة تقية، وإن أقبل الموت وجدها من الغش خلية، فيا طوبى لها إذا نوديت يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً[٥]﴾)[٦].

---

(١) قال بدر الدين العيني الحنفي في عمدة القاري: (وقال الطوفي ذكر البخاري الحب في كتابه ولم يذكر البغض وهو في رواية غيره: وإذا أبغض عبدا نادى جبريل عليه الصلاة والسلام إني أبغض فلانا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء أن الله يبغض فلانا فأبغضوه فيبغضونه ثم يوضع له البغض في الأرض . قلت: هذا أخرجه الإسماعيلي من طريق روح بن عبادة عن ابن جريج).انظر: صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب – باب إذا أحب الله عبد حببه إلى عباده، حديث رقم: ٦٨٧٣ (٨/ ٤٠). وانظر: مسند الإمام أحمد – مسند أبي هريرة ﷺ، حديث رقم: ٩٣٥٢ (١٥/ ٢٠٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري–كتاب بدء الخلق–باب ذكر الملائكة، حديث رقم: ٣٢٠٩ (٤/ ١١١).

(٣) سورة البقرة: ١٩٥.

(٤) الرُّزتاق والرُّستاق واحد، فارسي معرب أَلحقوه بقُرْطاس ويقال رُزْداق ورُستاق والجمع الرَّساتِيقُ و هي السواد، انظر: لسان العرب لابن منظور (١١٦/١٠) .

(٥) سورة الفجر: ٢٧ – ٢٨.

(٦) اليواقيت الجوزية في المواعظ النبوية، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: السيد عبد المقصود، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٨ هـ.ص: ٣٩.

ب- إن القبول يؤخذ منه أن محبة قلوب الناس شهادة خير له، ومنه معنى قوله ﷺ: (أنتم شهداء الله في الأرض)[١] لأن أصل الحب والبغض من عند الله تعالى، ويشهد لصحة هذا قوله تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [٢] قال بعض أهل التفسير[٣]: أي حببتك إلى عبادي.

ج- إن القبول في الأرض يعني عند أكثر من يعرفه من المؤمنين، ويبقى له ذكر صالح، وقيل معناه أن يلقي الله في قلوب أهل الأرض محبته بالمدح والثناء عليه. وفيه أن كل مسلم محبوب القلوب من المؤمنين فهو محبوب من الله.

وهذا الفضل جذب المؤمنين لحب بعضهم البعض، وتسابق إليه أهل الفضل من هذه الأمة، وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ومن تبعهم بإحسان، ومن أجمل آثارهم التي ينشرح الصدر بذكرها، ويزداد القلب حبا لهم على حب، هذا الأثر العظيم، عن عطاء بن أبي رباح عن أبي مسلم الخولاني[٤] قال: دخلت مسجد حمص[٥] فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً[٦] من أصحاب النبي ﷺ ، فإذا فيهم شاب أكحل العينين، براق الثنايا ساكت، فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلت لجليس لي: من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل، فوقع له في نفسي حب ، فكنت معهم حتى تفرقوا، ثم هجَّرت إلى المسجد، فإذا معاذ بن جبل قائم يصلي إلى سارية، فسكت. لا يكلمني فصليت ثم جلست، فاحتبيت برداء لي، ثم جلس فسكت لا يكلمني، وسكت لا أكلمه، ثم قلت: والله إني لأحبك. قال: فيم تحبني؟ قال: قلت: في الله تبارك وتعالى، فأخذ بحبوتي فجرني إليه هنية، ثم قال: أبشر إن كنت صادقاً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء» قال: فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت، فقلت: يا أبا الوليد ألا أحدثك بما حدَّثني معاذ بن جبل في المتحابين؟ قال: فأنا أحدثك عن النبي

---

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجنائز-باب ثناء الناس على الميت،حديث رقم: ١٣٦٧ (٢/ ٩٧). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الجنائز-باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى، حديث رقم: ٢٢٤٣ (٣/ ٥٣).

(٢) سورة طه: ٣٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٥ ، ص: ٢٨٤.

(٤) عبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولاني، غلبت عليه كنيته. قال شرحبيل بن مسلم :أتى أبو مسلم الخولاني المدينة وقد قبض النبي ﷺ واستخلف أبو بكر، وكان فاضلاً عابداً ناسكاً، له فضائل مشهورة، وهو من كبار التابعين .انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر(١ /٨٦٠) وتوفي أبو مسلم الخولاني بعد سنة ستين في أيام يزيد بن معاوية، انظر الوفيات لأبي العباس الخطيب (٩٧/١).

(٥) المدينة الشامية المعروفة، مدينة قديمة مشهورة بين دمشق وحلب. يمر من جانبها نهر العاصي. ينسب إليها كثير من العلماء والشعراء، وفيها قبر بطل الإسلام خالد بن الوليد ﷺ . انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٠٢/٢).

(٦) الكاف والهاء واللام أصلٌ يدلُّ على قُوَّة في الشَّيء أو اجتماع جِبِلَّة. من ذلك الكَاهل: ما بين الكتفين: سمِّي بذلك لقُوّته. ويقولون للرَّجُل المجتمِع إذا وَخَطه الشَّيب:كَهْل، وامرأة كَهْلة. انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس(١٤٤/٥).

ﷺ يرفعه إلى الرب عز وجل قال: «حقت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيّ»[١].

٢) الأمن يوم القيامة:

لقد وصف الله تعالى في القرآن العظيم زلزلة الساعة أنها شيء عظيم، ويتبعها أهوال ومشاهد ومواقف، ومن ذلك الصعق والبعث والعرض والحساب والميزان واستلام الكتب والصراط والجنة والنار، ومن عظيم هولها فإن كلام الرسل عند مجاوزة الصراط يومئذ: اللهم سلم، سلم، وفي تلك الأهوال يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، الكل يقول: نفسي.. نفسي ، ويأتي الأنبياء شهداء على أممهم، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شهيدة على الأمم، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٢] ويقول نبينا محمد ﷺ في الشفاعة: أمتي أمتي، أورد الإمام النووي في شرحه لقوْل الرسول ﷺ: (وَلَا يَتَكَلَّم يَوْمَئِذ إِلَّا الرُّسُل)[٣]قال: (مَعْنَاهُ لِشِدَّةِ الْأَهْوَال وَالْمُرَاد لَا يَتْلُكُمْ فِي حَال الْإِجَازَة، وَإِلَّا فَفِي يَوْم الْقِيَامَة مَوَاطِن يَتَكَلَّم النَّاس فِيهَا، وَتُجَادِل كُلّ نَفْس عَنْ نَفْسهَا، وَيَسْأَل بَعْضهمْ بَعْضًا وَيَتَلَاوَمُونَ، وَيُخَاصِم التَّابِعُونَ الْمَتْبُوعِينَ. وَاَللَّه أَعْلَم.وقَوْله ﷺ: (وَدَعْوَى الرُّسُل يَوْمَئِذ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ) هَذَا مِنْ كَمَال شَفَقَتهمْ وَرَحْمَتهمْ لِلْخَلْقِ وَفِيهِ أَنَّ الدَّعَوَات تَكُون بِحَسَبِ الْمَوَاطِن فَيُدْعَى فِي كُلّ مَوْطِن بِمَا يَلِيق بِهِ. وَاَللَّه أَعْلَم)[٤].وحتى الأخلاء في الدنيا تنقلب خلتهم في الآخرة إلى عداوة إلا أهل التقوى، قال الإمام البغوي: ({الأخلاءُ} على المعصية في الدنيا، {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة،{بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلا الْمُتَّقِينَ} إلا المتحابين في الله عز وجل على طاعة الله عز وجل).[٥] وهذا من فضل وفضيلة لمحبة في الله، فتكون في تلك الأهوال والمواقف سببا في الرفعة والأمن من الفزع، وتفريج الكربات، وتحقيق الأمان بالقرب من الرحمن، والاستظلال في ظله، حين يكون الناس غرقى في عرقهم بحسب أعمالهم والشمس في دنو من رؤوس الخلائق، والناس في حال لا يعلم قدرها وعظيم أمرها إلا الله القوي العزيز، قال سبحانه

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد– مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢٠٦٤ (٣٦/ ٣٨٤). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح.

(٢) سورة البقرة : ١٤٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري– كتاب التوحيد– باب قول الله تعالى(وجوه يومئذ ناضرة*إلى ربها ناظرة) حديث رقم: ٧٤٣٧ (٩/ ١٢٨).وانظر: صحيح مسلم –كتاب الإيمان–باب معرفة طريق الرؤية،حديث رقم : ٤٦٩ (١/ ١١٢).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج٣، ص: ٢٠ – ٢١.

(٥) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ، ج٧ ، ص: ٢٢١.

وتعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١] النجاة فيها دعوة الجميع، ومطلب الشفاعة لدى رب العالمين في القضاء والحساب هي الشغل لأهل الجمع، فيطلبونها من الدعاة الأخيار، أهل النبوة والرسالة وتقف عند خاتم النبيين وخير المرسلين نبينا محمد ﷺ، فيقول ﷺ: أنا لها، أنا لها. وفي ذلك الموقف العظيم، يفرح المتحابون في الله وجلاله، وعلى طاعته، يفرحون بخصوصية الأمن في ظل الرحمن جل جلاله وعظم سلطانه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه: «إِنَّ اللّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَة: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي. الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي»[٢]. وقوله: (المتحابون بجلالي) أَيْ بِعَظَمَتِي وَطَاعَتِي لَا لِلدُّنْيَا، أورده الإمام النووي[٣]وقوله (أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي) نقل تقرير العلماء لمعناها صاحب تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي بقوله (قَالَ عِيَاضٌ[٤]: إِضَافَةُ الظِّلِّ إِلَى اللَّه إِضَافَةُ مِلْك وَكُلُّ ظِلٍّ فَهُوَ مِلْكُهُ. قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَقُولَ إِضَافَةُ تَشْرِيف لِيَحْصُلَ امْتِيَازُ هَذَا عَلَى غَيْرِه كَمَا قِيلَ لِلْكَعْبَةِ بَيْتُ اللَّه مَعَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ كُلُّهَا مِلْكُهُ، وَقِيلَ الْمُرَادُ بِظِلِّه كَرَامَتُهُ وَحِمَايَتُهُ، كَمَا يُقَالُ فُلَانٌ فِي ظِلِّ الْمَلِك، وَهُوَ قَوْلُ عِيسَى بْن دِينَارٍ[٥] وَقَوَّاهُ عِيَاضٌ. وَقِيلَ الْمُرَادُ ظِلُّ عَرْشِه وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ سَلْمَانَ[٦] عِنْدَ سَعِيدِ[٧] بْنِ مَنْصُورٍ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّ

---

(١) سورة المطففين : ٤ – ٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم –كتاب البر والصلة والآداب– باب في فضل الحب في الله،حديث رقم :٦٧١٣ (٨/ ١٢).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج١٦، ص: ١٢٣.

(٤) القَاضِي، أَبُو الفَضْلِ عِيَاضُ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضِ بنِ عَمْرِو بنِ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، ثُمَّ السَّبْتِيُّ، المَالكِيُّ. وُلِدَ: فِي سَنَةِ ستٍّ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة. رحل إِلَى الأَنْدَلُسِ سَنَة بضْع وَخَمْس مائَة،وَتَفَقَّهَ بِأَبِي عَبْد الله مُحَمَّد بن عِيْسَى التَّمِيْمِيِّ، وَالقَاضِي مُحَمَّد بن عَبْد الله المَسِيْلِيِّ.وَاستبحر مِنَ العُلُوْم، وَجَمَعَ وَأَلَّفَ، وَسَارَتْ بتَصَانِيْفِه الرُّكبَانُ، وَاشْتُهِرَ اسْمُهُ فِي الآفَاق.قَالَ خَلَفُ بنُ بَشْكُوَال: هُوَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالتفنن وَالذّكَاء وَالفَهْمِ، اسْتُقضِي بسَبْتَةَ مُدَّة طَوِيْلَة، حُمدت سيرتُه فِيْهَا، ثُمَّ نُقلَ عَنْهَا إِلَى قَضَاء غَرْنَاطَةَ، فَلَمْ يُطَوِّلْ بهَا، وَقَدِمَ عَلَيْنَا قُرْطُبَة، فَأَخذنَا عَنْهُ.، مِنْ تَوَالِيْفِه، (الشفَا فِي شرف المُصْطَفَى)، وَكِتَاب (تَرْتِيْب المدَارك وَتَقْرِيْب المسَالك فِي ذكر فُقَهَاء مَذْهَب مَالك)، وَكِتَاب (العقيدَة)، وَكِتَاب (شرح حَدِيْث أُمِّ زرع)، وَكِتَاب (جَامِع التَّارِيْخ) الَّذي أَربَى عَلَى جَمِيْع المُؤلفَات، جَمعَ فِيْه أَخْبَار مُلُوْك الأَنْدَلُس وَالمَغْرب، وَاسْتَوْعَبَ فِيْه أَخْبَار سَبتَةَ وَعُلَمَاءهَا، وَلَهُ كِتَاب (مشَارق الأَنوَار فِي اقتفَاء صَحِيْح الآثَار)وَمِنْ تَصَانِيْفه كِتَابُ (الإِكمَال فِي شَرح صَحِيْح مُسْلِم) كَمَّل بِه كِتَاب (المُعْلَم) للمَازَرِي، وَكِتَاب (التَّنبيهَات)، قَالَ القَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ: شُيُوْخ القَاضِي يُقَارِبُوْنَ المائَة، تُوُفِّيَ فِي مراكش سَنَة أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَخَمْس مائَة.انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٩/٢٠٤).

(٥) عِيْسَى بنُ دِيْنَار أَبُو مُحَمَّد الغَافِقِيُّ القُرْطُبِيُّ، فَقِيْهُ الأَنْدَلُس، وَمُفْتِيْهَا، وَكَانَ صَالحاً، خَيِّراً، وَرِعاً، يُذْكَرُ بِإِجَابَة الدَّعْوَة.،كَانَ ابْنُ وَضَّاحٍ يَقُوْلُ: هُوَ الَّذي عَلَّمَ أَهْلَ الأَنْدَلُس الفِقْهَ.وَقَالَ الفَقِيْهُ أَبَانُ بنُ عِيْسَى بن دِيْنَار: كَانَ أَبِي قَدْ أَجْمَعَ عَلَى تَرْك الفُتْيَا بِالرَّأْيِ، وَأَحَبَّ الفَتْوَى بِالحَدِيْث، فَأَعجَلَتْهُ المَنِيَّةُ عَنْ ذَلكَ، تُوُفِّيَ: سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمائَتَيْنِ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩ / ٤٣٣).

(٦) هو الصحابي الجليل: سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٧) سعيد بن منصور أبو عثمان الخراساني الجوزجاني ، ولد بها ، نشأ ببلخ، وسكن مكة،سنين وهو مجاور بها، ثقة، انظر: التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (٣ / ١٠٨٧).مات سنة سبع وعشرين ومئتين انظر: التاريخ الأوسط للبخاري (٤/١٠١٧).

عَرْشه " فَذَكَرَ الْحَدِيثَ[١] قَالَ: وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ الْعَرْشَ اسْتَلْزَمَ مَا ذُكِرَ مِنْ كَوْنِهِمْ فِي كَنَفِ اللَّهِ وَكَرَامَتِه مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ؛ فَهُوَ أَرْجَحُ، وَبِه جَزَمَ الْقُرْطُبِيُّ، وَيُؤَيِّدُهُ أَيْضًا تَقْيِيدُ ذَلِكَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ،كَمَا صَرَّحَ بِه ابْنُ الْمُبَارَكِ[٢] فِي رِوَايَتِه عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ[٣] بْنِ عُمَرَ وَهُوَ عِنْدَ الْمُصَنِّفِ فِي كِتَابِ الْحُدُودِ، قَالَ: وَبِهَذَا يَنْدَفِعُ قَوْلُ مَنْ قَالَ الْمُرَادُ ظِلٌّ طُوبَى أَوْ ظِلُّ الْجَنَّةِ لِأَنَّ ظِلَّهُمَا إِنَّمَا يَحْصُلُ لَهُمْ بَعْدَ الِاسْتِقْرَارِ فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ مُشْتَرِكٌ لِجَمِيعِ مَنْ يَدْخُلُهَا)[٤] والذي عليه الأكثرون في تحرير القول في مسألة استظلال المتحابين في الله، أنه ظل حقيقي، في ظل الله أو ظل عرشه أو ظل العمل الصالح للعبد، وذلك على ظاهر اللفظ لا يسأل عن كيفيته على سائر مسائل الغيب العقدية والوقوف عند حدود المعلوم من نصوص الشرع الثابتة، وبه أصبح من المفضول قول من قال بتأويل الظل بالراحة والتنعم والكنف من المكاره مجازا، وهذا ما يؤكده قول القاضي عياض بقوله: (وظاهره أنه سبحانه يظلهم حقيقة من حر الشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلائق وهو تأويل الأكثرين) وأيضا ما نقله الزرقاني في شرح الموطأ عن الإمام القرطبي، قال: (قال القرطبي: فإن قيل حديث المرء في ظل صدقته حتى يقضي الله بين الخلائق، وحديث سبعة يظلهم الله يدل على أن في القيامة ظلالا غير ظل العرش، أجيب بأن فيها ظلالا بحسب الأعمال تقي أصحابها حر الشمس والنار وأنفاس الخلائق، ولكن ظل العرش أعظمها وأشرفها، يخص الله به من شاء من عباده الصالحين، ومن جملتهم المتحابون في الله، ويحتمل أنه ليس هناك إلا ظل العرش يستظل به المؤمنون أجمع، ولكن لما كانت تلك الظلال لا تنال إلا بالأعمال، وكانت الأعمال تختلف، حصل لكل عامل ظل يخصه من ظل العرش، بحسب عمله وسائر المؤمنين شركاء في ظله، وهذا كله على أن الاستظلال حقيقي)[٥]

٣) حماية الله لمن يحبه من الدنيا:

---

(١) يأتي بيان الحديث بأكمله في الفصل الثاني من هذه الرسالة عند بيان محاب الله، المطلب الأول من المبحث الأول.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، من أهل مرو، وكانت أمة خوارزمية.مولده في سنة ثمان عشرة ومئة.فطلب العلم وهو ابن عشرين سنة.ارتحل ابن المبارك إلى الحرمين، والشام، ومصر، والعراق والجزيرة، وخراسان، وحدث بأماكن.قال أحمد العجلي: ابن المبارك ثقة ثبت في الحديث، رجل صالح يقول الشعر، وكان جامعا للعلم.قال العباس بن مصعب: جمع عبد الله الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء،والتجارة، والمحبة عند الفرق.قال أحمد بن حنبل: لم يكن أحد في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه.مات ابن المبارك بهيت وعانات في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومئة.انظر: سيرأعلام النبلاء للذهبي (٣٧٨/٨) وانظر: الثقات لابن حبان (٧/٧).

(٣) عبيد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أمه أم كلثوم بنت جرول الخزاعية، وهو أخو حارثة بن وهب الصحابي المشهور لأمه، ولد في عهد النبي ﷺ، فقد ثبت أنه غزا في خلافة أبيه، كان عبيد الله من شجعان قريش وفرسانهم، ولما قتل أبو لؤلؤة، عمر، عمد عبيد الله ابنه هذا إلى الهرمزان وجماعة من الفرس فقتلهم، ولا خلاف في أنه قتل بصفين مع معاوية واختلف في قاتله، وكان قتله في ربيع الأول سنة ست وثلاثين .انظر: الإصابة في تمييزالصحابة لابن حجر (٥ / ٥٢).

(٤) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي علفة، الأردن: بيت الأفكار الدولية، ط ٥، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص: ١٨٨٥ – ١٨٨٦.

(٥) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ج ٤، ص: ٤٣٦.

الدنيا مطلب يسعى إليه الإنسان، فمنها المغرم ومنها المغنم، ولو عرف الإنسان المغنم فيها لاجتنب المغرم، ولكن يمضي بأخذ الأسباب الموصلة لحياة الإنعام، تحت مشيئة الله القدرية الكونية والشرعية، فما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وهذا في حق سائر البشر، وفي حقوق الرسل البشرية، يقول تعالى في حق النبي ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾[1] فإن كان للرسل والأنبياء من الله الاصطفاء بالوحي والتأييد بالمعجزات، وهم أشد الناس بلاء لعظمة وقوة تمسكهم بدين الله، والدعوة إليه؛ فقد حفظهم من الدنيا، وأصبحت نفوسهم طاهرة بطلبهم الآخرة، وكانت حياتهم في الدنيا كفافا أو عطاء في سبيل الله، وهذا من حب الله لهم، وهو مؤكد في حق من أحبهم سبحانه؛ لأن من كانت الجنة مطمعه أخذ من الدنيا ما يبلغه، وحفظه الله من غرورها، وجزاه على صبره الجنات، قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ۝ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[2] قال الإمام الطبري في تفسيره: (زُيِّن للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عدّ. وإنما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثرُوا الدنيا وحبَّ الرياسة فيها، على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بصدقه)[3] أما أهل التقوى والاتباع فقد وعدهم الله الجنات والنعيم، وهذه فضيلة من فضائل المحبة؛ أن يفوزوا بنعيم الآخرة الدائم وأجر الصبر على الابتلاء والبلاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[4] عن قَتَادَةَ بنِ النُّعْمَانِ[5]ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ الله عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقيمهُ المَاءَ»[6].وعن محمود بن لبيد ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عزَّ وجلَّ ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه،كما تحمون مريضكم من

(١) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٢) سورة آل عمران : ١٤ – ١٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٢٤٣ .

(٤) سورة الزمر: ١٠.

(٥) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأوسي ثم الظفري، أخو أبي سعيد الخدري لأمه، أمهما أنيسة بنت قيس النجاريه، مشهور يكنى أبا عمرو الأنصاري، يكنونه أبا عبد الله، وقيل: كنيته أبو عثمان، قال البخاري له صحبة، وقال خليفة وابن حبان وجماعة شهد بدرا، روي أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها، فقالوا: لا حتى نستأمر رسول الله ﷺ، فاستأمروه، فقال: لا، ثم دعا به فوضع راحته على حدقته، ثم غمزها، فكان لا يدري أي عينيه ذهب. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٥ / ٤١٦).

(٦) انظر: سنن الترمذي–كتاب الطب عن رسول الله ﷺ – باب ما جاء في الحمية، حديث رقم : ٢٠٣٦ (٤/ ٣٨١).وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير– للسيوطي .

الطعام والشراب تخافونه عليه ». وبهذا الإسناد فإن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عزَّ وجلَّ إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع»[١].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: (الدُّنيا سجنُ المؤمن، وجنَّة الكافر)[٢].فإن الذم الواقع للدنيا ليس لما فيها من المخلوقات وما أعده الله فيها من المنافع الكثيرة والمصالح المتراكبة، بل فيها الدليل على عظيم قدرته ووحدانيته سبحانه، وإنما الذم واقع على فعل بني آدم فيما يضر به نفسه أو غيره، أدرك ذلك أم لم يدركه، وحمى الله المؤمنين من غرور الدنيا، فقد حرم المحرمات من فضول الملذات والشهوات، ومظاهر البهجة والزينة؛ لما ادخره سبحانه لعباده المؤمنين من نعيم لا يوصف، وزهرة لا تنقطع في الآخرة؛ ولا يدرك ذلك إلا بالصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على البلاء. وحيث أن الدنيا دار ابتلاء واختبار فقد انقسم بنو آدم فيها إلى قسمين:

١) كافر بالبعث والنشور منكر للثواب والعقاب.فأولئك الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[٣]

٢) مؤمن بالبعث والحساب مصدق بالجنة والنار وهؤلاء الذين قال الله فيهم : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[٤] وهم أتباع الرسل، ويتفاضلون بأعمالهم على ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه بالآثام، وقسم مقتصد على حافة من الآثام، وذي فضل كبير سابق بالخيرات بإذن الله، موعود بجنات عدن من الله الغفور الشكور، وقد أبان أهل التفسير وصفهم عند تفسير سورة فاطر قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[٥]:

فإن السابقون بالخيرات هم من علم حقيقة الدنيا بأنها دار ممر فانية إلى دار القرار الآخرة الباقية، وأنهم في مرحلة بلاء فيها إلى دار جزاء، وقد أفلح من أحسن عملا، واكتفوا منها بزاد المسافر في السفر ليبلغ دار القرار وامتثلوا قول النبي ﷺ في الدنيا ، عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير،

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد–مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٣٦٢٣ (٣٩/ ٣٥).تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند، قال: إسناده جيد.وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير – للسيوطي .

(٢) انظر: صحيح مسلم –كتاب الزهد والرقائق– باب حديث رقم: ٧٦٠٦ (٨/ ٢١٠).

(٣) سورة يونس : ٧– ٨.

(٤) سورة الشورى: ٢٢.

(٥) سورة فاطر: ٣٢.

فقام وقد أثر في جنبه قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: (ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)[١].

ثانيا: فضائل المحبة النفسية

١) الاطمئنان القلبي والنفسي:

إن جميع البشر باختلاف عقائدهم وألوانهم ومنازلهم، في سعي حثيث نحو الاطمئنان القلبي والنفسي، بين طلاب له في المال أو الجاه أو السلطان، أو الاستكثار من ملذات الحياة؛ ولكن السبل قد تنقطع بهم إلى الفقر أو الذل أو العجز، ويبقى الأصل الذي عليه الاعتماد، والسبيل الواضح لمبتغي الرشاد، أن المحبة النابعة من صريح الإيمان بالله هي المصدر لحلاوة الإيمان، ولذة اليقين بالله الموصل إلى السعادة في الدنيا، ورضوان الله وجنته، عَنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ،قَالَ: ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)[٢] فمن هذا الحديث الذي عده العلماء أصل من أصول الإسلام يتقرر أن المحبة هي الحبل المتين بالثلاث الحسان، المنعقد عليها وجود حلاوة الإيمان، وهي:

(١) محبة العبد لله ولرسوله ﷺ.

(٢) محبة المرء في الله سبحانه وتعالى.

(٣) محبة الإسلام وكراهة العودة إلى الكفر، ككراهة أن يقذف في النار .

ذكر الإمام النووي يرحمه الله في شرحه لهذا الحديث نقلا عن القاضي عياض يرحمه الله مبينا أثر المحبة في النفس والقلب وحقيقتها، قال: (لَا يَصِحُّ الْمَحَبَّة لِلَّهِ وَرَسُوله ﷺ حَقِيقَة، وَحُبُّ الْآدَمِيِّ فِي اللَّه وَرَسُوله[٣] ﷺ، وَكَرَاهَة الرُّجُوع إِلَى الْكُفْر إِلَّا لِمَنْ قَوَّى بِالْإِيمَانِ يَقِينَهُ، وَاطْمَأَنَّتْ به نَفْسه، وَانْشَرَحَ لَهُ صَدْره، وَخَالَطَ لَحْمه وَدَمه. وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَجَدَ حَلَاوَته. قَالَ: وَالْحُبُّ فِي اللَّه مِنْ ثَمَرَات حُبّ اللَّه. قَالَ بَعْضهمْ: الْمَحَبَّة مُوَاطَأَة الْقَلْب عَلَى مَا يُرْضِي الرَّبّ سُبْحَانه؛ فَيُحِبّ مَا أَحَبَّ، وَيَكْرَه مَا كَرِهَ.

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد–مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم:٢٧٤٤ (٤/ ٤٧٤). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده صحيح . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة .

(٢) انظر: صحيح البخاري–كتاب الإيمان–باب حلاوة الإيمان، حديث رقم: ١٦ (١/ ١٢). و انظر صحيح مسلم ــ كتاب الإيمان – باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم: ١٧٤ (١/ ٤٨)

(٣) قلت :إن القصد من محبة الآدمي في الله واضح المعنى أما محبة الآدمي في رسول الله ﷺ فإنها مخصصة في حب أهل بيته ومن يحب ﷺ، وإن قصد حب النبي ﷺ في الله فهو واجب يقوم عليه أصل الإيمان وهو الوجه الأولى في إعراب العبارة.

وَاخْتَلَفَتْ عِبَارَات الْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذَا الْبَاب بِمَا لَا يَئُول إِلَى اخْتِلَاف إِلَّا فِي اللَّفْظ. وَبِالْجُمْلَة أَصْل الْمَحَبَّة الْمَيْل إِلَى مَا يُوَافِق الْمُحِبّ، ثُمَّ الْمَيْل قَدْ يَكُون لِمَا يَسْتَلِذُّهُ الْإِنْسَان، وَيَسْتَحْسِنهُ كَحُسْنِ الصُّورَة وَالصَّوْت وَالطَّعَام وَنَحْوهَا، وَقَدْ يَسْتَلِذُّهُ بِعَقْلِهِ لِلْمَعَانِي الْبَاطِنَة كَمَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاء وَأَهْل الْفَضْل مُطْلَقًا، وَقَدْ يَكُون لِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَدَفْعه الْمَضَارَّ وَالْمَكَارِهَ عَنْهُ. وَهَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا مَوْجُودَة فِي النَّبِيِّ ﷺ لِمَا جَمَعَ مِنْ جَمَال الظَّاهِر وَالْبَاطِن، وَكَمَال خِلَال الْجَلَال، وَأَنْوَاع الْفَضَائِل، وَإِحْسَانه إِلَى جَمِيع الْمُسْلِمِينَ بِهِدَايَتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم، وَدَوَام النِّعَم، وَالْإِبْعَاد مِنْ الْجَحِيم. وَقَدْ أَشَارَ بَعْضهمْ إِلَى أَنَّ هَذَا مُتَصَوَّر فِي حَقّ اللَّه تَعَالَى، فَإِنَّ الْخَيْر كُلّه مِنْهُ سُبْحَانه وَتَعَالَى. قَالَ مَالِك وَغَيْره: الْمَحَبَّة فِي اللَّه مِنْ وَاجِبَات الْإِسْلَام. هَذَا كَلَام الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّه)[1].

اتفق أهل العلم على أن النفس والقلب في الإنسان لهما حالات متغيرة، وأن حال الاطمئنان هي أزكاها وأنقاها،وكل مسلم يدرك ذلك من قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3] وكذلك يسعى جميع البشر إلى الشعور بحال الاطمئنان النفسي والقلبي، وإن تحصَّل الإنسان عليه في زمن من حياته؛ فلن يستطع الإبقاء عليه في حد ثابت؛ لأن قاعدة التغير من ثوابت الحياة الدنيا وأصول العيش فيها،وللأنبياء والأولياء خصوص في ذلك، وكذلك للمسلم خصوص عن غيره من البشر في هذا الأمر، وهو حلاوة الإيمان، فمن ذاق طعمها استأنس بوجودها وسعد في حياته،قال ابن عباس رضي الله عنهما: (النفس المطمئنة أي المصدقة)[4]، إذن فإن نفس المسلم هي المصدقة بالوحي وبما وعد الله، تشكر في السراء وتصبر في الضراء، وهكذا يكون الرضا بالقضاء والقدر، حين يستسلم القلب لله بالتوحيد وتحصل التقوى بالامتثال لأوامر الله ونواهيه، ويكون الفلاح بالإخلاص والمتابعة في الطاعة، فإن النفس بتقواها والقلب بصلاحه محوران تدور معهما سعادة الإنسان وشقاوته، في شرطين هما الأس لهذا الاطمئنان: وهما الإيمان والتقوى، فالنفس المطمئنة التقية هي الناجية، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[5].وصاحب القلب الذاكر الصالح هو المؤمن الصالح، عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنه يَقُولُ:

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج٢، ص: ١٤.

(٢) سورة الفجر: ٢٧– ٢٨.

(٣) سورة الرعد: ٢٨.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ٤٢٣ .

(٥) سورة الشمس: ٧– ١٠.

(سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: الْحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ)[١].ومنه نعلم أن الإيمان بالله ومن لوازمه التقوى شرط في الاطمئنان النفسي والقلبي، بل هو أصل في دين الإسلام، ومرتبة من مراتبه العظيمة في العقيدة والعبادة، وجاء تعريفه في عقيدة أهل السنة والجماعة جامعا لقلب الإنسان ولسانه وجوارحه، فهو(اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان)[2] وثبت في السنة الشريفة أن الإيمان يتفرع إلى أكثر من سبعين شعبة، ويتفاوت الناس في تحقيقه بين درجات توصل إلى الكمال أو تنافيه، وذلك بموجب ما هم عليه من إخلاص في النيات، أو صلاح في الأعمال، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله و أوضعها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)[٣].

٢) معالجة الأمراض النفسية:

إن النفس البشرية ذات خصائص طبعية فطرية ومكتسبة، ومنه قيل(ليغلبن الطبع التطبع) وتتكون هذه الخصائص في أدوار النشأة والنمو بين زيادة ونقصان، وتتكون أيضا من خلال تأثر الإنسان بالظروف المحيطة به في مراحل حياته العمرية، ونحن مأمورون شرعا بالتفكر والتدبر والتبصر، قال سبحانه وتعالى: (وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ)[٤] فإن المستبصر ليدرك أن خصائص النفس الإنسانية تجعلها عرضة للأمراض النفسية الكثيرة وإن حقيقة المحبة هي العلاج الناجع لكثير من أمراض النفس، بل كلها؛ حين تكون في توازن وعدل، انطلاقا من زرع بذور الخير فيها منذ الصغر، والبعد بها عن مؤثرات الشر والعدوانية، ولمعرفة أثر المحبة في العلاج النفسي، يجب أن ندرك الأسباب الحقيقية للمرض ومدى علاقتها بالمحبة أثناء تشخيص المريض، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

---

(١) انظر: صحيح البخاري–كتاب الإيمان–باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم: ٩ (١/ ١١).وانظر: صحيح مسلم–كتاب المساقاة – باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم:٤١٧٨ (٥/ ٥٠).

(٢) جاء في الشرح والإبانة على أصول السنة و الديانة لابن بطة العكبري (ما ذهب إليه المصنف من أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان هو مذهب عامة السلف، وهو من شعائر أهل السنة بل قد وضع الإجماع عليه كما حكاه غير واحد. فقد قال الإمام الشافعي في "الأم" وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركنا يقولون: "الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر").(١/١٧٦).

(٣) انظر: صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب شعب الإيمان، حديث رقم: ١٦٢ (١/ ٤٦).

(٤) سورة الذاريات: ٢٠–٢١.

س: ما مدى حبه للخير؟ فإن النفس تعيش بين الخير والشر، بلاء وفتنة.قال الله تعالى ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[١].

س: ما عمر المريض ؟ وهل هو في حال قوة حب من الدنيا أم في حال ضعف ؟ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[٢].نعم إن نفسه عامرة في جسد خلق من ضعف أخذ في القوة ثم يرجع إلى ضعف وشيبة وهرم وخرف، ينتهي بجهل بعد علم وموت ثم مبعث.

س: ما مدى حبه للتملك والاستكثار؟ وهل هو في فخر وغرور وبخل؟ أم في شكر وحمد وعطاء؟ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾[٣].وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[٤].قال الإمام ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى مخبرًا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة: {إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا} ثم فسره بقوله:{إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا} أي: إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير.{وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} أي: إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله فيها)[٥]

س: ما مدى الأمل والتفاؤل في نفس المريض ؟ أم هو في يأس وقنوط ؟ قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[٦] نعم. إن نفس الإنسان تدفع إلى العجل، فقد خلق الإنسان عجولا، والصواب أن يدفعها بالحب إلى الثبات على الخير، ويجدد لها الأمل في البقاء عليه.

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى النفس في القرآن الكريم بثلاث حالات: النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة والنفس المطمئنة. وإن الإنسان المستبصر بأحوال النفس وخصائصها؛ ليدرك أنها عرضة لأنواع كثيرة من الأمراض النفسية، التي تختلف باختلاف مراحل النمو وظروف النشأة لدى الناس، من حيث الزمان والمكان وطبيعة المجتمع، ومن أعظم هذه الأمراض:

أ) الكبر والعجب ويمثلهما انحراف في حب الذات، على أثر المحصلات المفضلة في الدنيا، وزيادة العجب بالنفس بزيادة الحب له، والإصابة بغرور العظمة.ومن علاجهما نقصان الحب المنحرف والوصول به إلى حد الاعتدال، وكشف حقيقة الخلق وضعف المخلوق وعظمة الخالق، مع ضرب أمثلة الاعتبار في مصير

---

(١) سورة الأنبياء: ٣٥.
(٢) سورة الروم : ٥٤.
(٣) سورة فصلت: ٥١.
(٤) سورة المعارج: ١٩ –٢١.
(٥) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٨ ، ص: ٢٢٦ .
(٦) سورة فصلت: ٤٩.

المتكبرين.قال الله تعالى في حق قـــارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[١].

ب) الحسد والحقد، ويمثلهما انحراف في حب الدنيا والذات، وزيادة حب التملك ، ومن علاجهما العمل على نقصان الانحراف إلى حد الاعتدال، وكشف حقيقة الفعل وردة الفعل في مواقفه مع غـــيره، وهـــل يرضى بمثلها على نفسه؟. عنَ الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَـــمِ قَـــبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)[٢].

ج) القلق والأرق، ويمثلهما ضعف قيمة المحبة بضعف الإيمان وفقدان الثقة بالنفس والمجتمع.ومن علاجهما الخلطة الاجتماعية، وزيادة التعامل بالمحبة من الطرفين –المريض والمجتمع– إلى حد الاعتدال.

د) الضيق(الهم والحزن)، ويمثلهما الانقطاع الزمني لبواعث المحبة وفق مقتضيات الحوادث المـــؤثرة علـــى النفس من الظروف المحيطة والمجتمع.ومن علاجهما دراسة تعزيز وسائل المحبة المادية والمعنوية، الـــتي مـــن خلالها يمكن تقوية قدرات النفس على مواجهة الحوادث. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ حَزَنٍ وَلاَ وَصَبٍ حَتَّى الْهَمُّ يَهُمُّهُ إِلاَّ يُكَفِّرُ اللَّهُ بِه عَنْـــهُ سَيِّئَاتِه »[٣]. وكان ﷺ في دعائه يستعيذ من الهم الحزن، وهذا من الوسائل العلاجية الهامة لمن أصيب بهم أو حزن، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه، قَالَ: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيّ ﷺ يَدْعُو بِهَـــؤُلاَءِ الْكَلِمَـــاتِ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ »[٤].

هـــ) الاكتئاب والانطواء، ويمثلهما فقدان عامل المحبة العملي، الموصل لمحبة الآخـــرين وضـــعف الإيمـــان بالقضاء والقدر.ومن علاجهما زيادة المحبة العملية المادية والمعنوية، وبحث السبل الموصلة إلى ذلك، ومـــن أهمها تعزيز الإيمان بالقضاء والقدر، والحث على الاستقامة الشرعية، قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ

(١) سورة القصص: ٧٨.

(٢) انظر: سنن الترمذي–كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم: ٢٥١٠ (٤/ ٦٦٤). وانظر: مسند الإمام أحمد– مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٤٣٠ (٣/ ٤٣). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده صحيح على شـــرط الشيخين . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة وفي صحيح سنن ابن ماجة .وأصله عند مسلم في صحيحه .

(٣) انظر: سنن الترمذي–كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ– باب ما جاء في ثواب المريض، حديث رقم: ٩٦٦ (٣/ ٢٩٨). قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : حسن صحيح .وأصله عند البخاري في صحيحه.

(٤) انظر: صحيح البخاري–كتاب الجهاد والسير–باب من غزا بصبي للخدمة، حديث رقم: ٢٨٩٣ (٤/ ٣٦).

مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ[1] والالتزام بذكر الأذكار الشرعية يطرد الهموم، ومضاد للاكتئاب؛لأنه يؤدي إلى انشراح الصدر واطمئنان القلب .

و) الوسوسة وانفصام الشخصية، ويمثلهما ذبذبة وتردد في موجات المحبة، تبعًا لنزعات الوسواس القهري وسلطة الأشياء المسموعة والرؤى اليقظية التي فصمت نفسه عن الحقيقة وفصلتها عن الواقع ، ودفعتها إلى أشياء ماثلة في نفسه لا تنفك عنه إلا بالعلاج. ومن علاجهما دراسة أوقات الثبات في الحالة، وتعزيز المحبة فيها، مع شغل النفس بمهام عملية وذهنية أخرى، لها نفس قوة التأثير أو أعلى ولكن بشكل إيجابي.

وهذه الأمراض ذات خطورة على حياة الإنسان ومصيره، بل هي مفاتيح للشر على الفرد والأسرة والمجتمع، وحين يتم تشخيص المريض بأي منها، يتضح من تحديد الأسباب وخطوات العلاج؛ أن نقصان المحبة أو فقدانها أو انحرافها سبب في المرض، وأن تصحيح ذلك في شخصية المريض بالمحبة المعتدلة إحدى الخطوات الهامة في العلاج، فمن حكم أوامر الشرع الحكيم في الكتاب والسنة غرس المحبة في النفوس والتربية عليها، والتعامل بها في ميزان العدل ووفق حدود الشرع، ومن وصل به الأمر إلى حد المرض، كان لزاما عليه البحث عن العلاج المادي والمعنوي، ولأهمية المحبة في تشخيص المرض وحدود العلاج، تم بيان العلاقة العامة في ذلك.ولعل دراسة أحوال النفس في القرآن من الطرق الهامة في معرفة العلاج السليم لكل مرض نفسي، حيث ذكرت النفس في القرآن الكريم في حال الجمع والإفراد (١٥٥) مرة، وكلها تؤكد دواعي مؤثرة في النفس و السلوك الإنساني، وجناية الخير والشر في حدود الرغبة والمصير، مما يتضح منه ما يلازم النفس من خصائص عامة، واستثنى الله سبحانه المؤمنين المجتهدين في الطاعات، كما في سورتي المعارج والمؤمنين بالمداومة والخشوع والإخلاص في الصلاة، والزكاة والعهد والأمانة وميزهم بوصف الإحسان والتقوى والإيمان، ووعدهم الدرجات العلى في جنات عدن خالدين فيها أبدا، في رحمة منه ورضوان.

(١) سورة طه: ١٢٣ – ١٢٤.

ثالثا: فضائل المحبة الاجتماعية والاقتصادية

التعاون منطق الوجود الإنساني على الأرض، بدءا من التعاون الأسري بين الزوجين والأولاد القائم على المودة والرحمة، وامتدادا لسائر أفراد المجتمع في نطاق الحياة، ومواقفها المتعددة، التي يهدف الكل من خلالها إلى تنظيم العمل، وسد الحاجة من الضرورات والاستمتاع بها وبغيرها. والمرء قليل بنفسه كثير بأعوانه،والمجتمع المسلم من أكثر المجتمعات تماسكا لما حثت عليه أوامر الشريعة من التعاون والتكافل القائم على المحبة، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ)[1]. وعلى هذا الأصل نجد أن المحبة من المؤثرات الهامة،وفضائلها الاجتماعية والاقتصادية كثيرة جدا ، منها :

١) يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، الرعية تحب الراعي وتطيعه، والراعي يحب رعيته ويسعى لما يسعدهم. والأسرة تقوم في الإسلام على علاقة المحبة والبر، وهما من أسباب الألفة بين القلوب، وما تقوم به الحقوق بين الوالدين والأولاد، من بذل المال بالإنفاق وبذل المعروف بطيب العشرة، والبشر والتودد وجميل القول ورقة الطبع.

٢) لقدا أمر الإسلام بتعزيز الحقوق والواجبات لكل فرد، وحث على العناية بأصحاب الظروف والقدرات الخاصة، كالمعاقين واليتامى والأرامل والمساكين، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ)[2].

٣) إن المجتمع عبارة عن منظومة من الأفراد، تجمع بينهم المصالح والمنافع، وتقوم حياتهم عليها.ومتى سادت المحبة بينهم؛ فإنه سيأخذ كل فرد حقوقه ويؤدي الواجبات التي عليه، سواء قامت على النسب أو الجيرة أو الصداقة، أو حق الرعاية الواجبة أو النافلة.

٤) للمحبة دور كبير في الاستقرار الأمني، وخلو المجتمع من المشكلات، ويعد هذا عاملا هاما في تطور المجتمع على المستوى المعيشي أو الاقتصادي، أو على مستوى الأعمال والأخلاق والصناعات، ومما يؤكد دائما أن سيادة العدل بأداء الأمانة في المسؤولية والقضاء على الطبقية الظالمة؛ يعالج كثيرا من الأمراض الاجتماعية، من شهادة الزور وكثرة العنوسة، وانتشار الطلاق، وشيوع البطالة. وكثرة الجرائم والجنايات كالقتل والزنا والسرقة وغيرها...وهذه الجرائم تصدر غالبا عن أشخاص مرضى بما يسمى في علم النفس بالشخصية السيكوباتية، وهي كما يصفها المتخصصون: (إن هؤلاء المرضى ليسوا بالذهانين ، وليسوا

---

(١) انظر: صحيح البخاري–كتاب المظالم– باب نصر المظلوم، حديث رقم: ٤٨١ (١/ ١٠٣). وانظر: صحيح مسلم–كتاب البر والصلة والآداب–باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٦٧٥٠ (٨/ ٢٠).

(٢) انظر: صحيح البخاري –كتاب النفقات– باب فضل النفقة على الأهل، حديث رقم : ٥٣٥٣ (٧/ ٦٢).وانظر: صحيح مسلم– كتاب الزهد والرقائق–باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، حديث رقم: ٧٦٥٩ (٨/ ٢٢١).

بالعصابين ، كما أنهم ليسوا على الإطلاق من نوع المرضى بالأمراض النفسية العضوية، إلا أن الصفة العامة الواحدة المشتركة، فيما بينهم هي أنه يبدو عليهم اختلال السلوك **the conduct disorders)** أي أنهم يصدر عنهم من السلوك ما يمثل مزقا للقانون الأخلاقي السائد في المجتمع، أو خروجا عن المعايير والقيم الأخلاقية المتعارف عليها)[1] وعند البحث تجد أن هؤلاء يعانون من تمركز حول الذات أو خلل في التربية وبناء الشخصية، وكلا الحالين تجد أنهم يفقدون المعنى الحقيقي لمحبة المجتمع لهم ومحبتهم للمجتمع؛ الذي ينعكس سلبا على سلوكهم ومشاعرهم.

٥) المحبة ميثاق اجتماعي بين الناس، ومطلب فردي لكل فرد، من اتصف به وجد القبول والثناء، ومن فقده أو أخل بأمره وجد الرفض والإعراض؛ لأن جميع الناس في أي مجتمع يسعون للحصول على الأمن الاجتماعي، ومن أهم دواعيه وأسبابه بث المحبة بين أفراد المجتمع، وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة مؤكدة لهذا المعنى، بل ملزمة به كل مسلم في أي مجتمع كان، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[2] وهذا الأمر العام لا يمكن القيام به دون محبة الخير والعمل بأوامر الحدود الشرعية، والأحكام العرفية الكافلة للحقوق، ولا يمكن العيش في أمان إلا بالكف عن مشاركة الآثمين والمعتدين في المجاوزة والتعدي على الآخرين، بجميع أشكاله، لما فيه من نشر للبغضاء المنافية للمحبة، وحينما تفقد المحبة أو تضعف فإن ذلك يؤدي إلى إبطال الأهداف والغايات الجليلة في المجتمع، والتي تقوم على المحبة، ومنها: سلامة المعاملات التجارية من الغش والاحتكار وظلم الربا وأكل المال بالباطل،.حيث تؤكد المحبة الحرص على الكسب الحلال وأداء الحقوق بين الدائن والمدين.وبها يتحقق النماء الاقتصادي في حدود الدخل الفردي والدخل الحكومي العام.وتقل نسبة الفقر في المجتمع ويقوم الجميع بواجبات التكافل المالي من الزكاة والصدقات والهبات، وللمحبة أثر في انتفاء مشكلة البطالة بحث الأفراد على حب العمل، وازدياد حركة الاستثمار. وتتم معالجة مشكلة الإسراف والكساد والاحتكار، حين يدرك الناس حقيقة المال وكونه وسيلة للحياة المتوازنة، فينبعث بينهم الحب المعتدل للمال، وحسن التخطيط في الادخار والإنفاق؛ فيتراحم الناس بينهم، وتحل البركة من الله في عموم الكون، لمن شاعت بينهم المحبة على إيمان به وتقوى له سبحانه.قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[3].

---

(١) المدخل الميسر إلى الصحة النفسية والعلاج النفسي، د. أسماء عبد العزيز الحسين ، الرياض : دار عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ص:٣٧٦ .

(٢) سورة المائدة : ٢.

(٣) سورة الأعراف: ٩٦.

٦) إن المحبة تكسب المجتمع المؤمن المتراحم، الوقاية من الجوائح والمصائب والحماية من عذاب الله.ويكون المجتمع موطن هداية وسلامة لمن في الأرض، وبهم وبها يسلم الناس وينتشر السلم والأمن في العالم وتقل الصراعات والحروب المدمرة.

فإن فضائل المحبة الاجتماعية والاقتصادية لا تتحقق إلا بالتعاون الإنساني بين الشعوب أو بين أفراد الشعب الواحد وأكد حقيقة هذه الغاية ابن خلدون في مقدمته عند حديثه عن أصل الوجود الإنساني، وحقيقة العمران البشري، قال: (فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه. وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل قوت ولا غذاء، ولا تتم حياته، لما ركبه الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته، ولا يحصل له أيضاً دفاع عن نفسه لفقدان السلاح، فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته، ويبطل نوع البشر. وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة، وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه. فإذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعاً لهذا العلم[١])[٢]

(١) أي علم العمران البشري ، الذي اصطلح عليه في العصر الحاضر كعلم مستقل باسم : علم الاجتماع .

(٢) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، المعروف بابن خلدون،بيروت: دار القلم، ط٥، ١٩٨٤ م، ص: ٤٢ – ٤٣.

المبحث الثاني
أنواع المحبة وأحكامها في الكتاب والسنة
المطلب الأول
أنواع المحبة في الكتاب والسنة

إن أنواع المحبة كثيرة ولها مراتب متعددة، ولكلٍ فيها وجهة نظر من حيث تقسيمها وترتيبها لتداخل المعاني وسعتها في اللغة، ولاجتهاد المصنفين في الفهم بحسب ما لديهم من شواهد أصولية، ومعاني وجدانية ومدارك عقلية في روابط المحبة ونتائجها؛وعلى ذلك تميز لفظ الحب بكثرة المسميات الدالة عليه، والمترادفات الموضحة لمعناه، والدرجات المرتبة لقوته وضعفه ومستواه، ويتضح ذلك من بيان أسماء المحبة ودرجاتها وأنواعها المتداخلة، ولقد خلط بعض من كتب عن أنواع المحبة حين التقسيم في أنواعها بين النوع والدرجة، وسبق عليه سعة المفهوم فلم يدرك أن الأنواع يمثلها الأقسام العامة على ضوء عناصر التقسيم، أما الدرجات فإنه يمثلها الترتيب والتدرج في الأولية والأولوية والقوة؛ فهناك من خلط بين الأنواع والدرجات في مكان واحد فجعل الخلة – مثلا– نوع مستقل من أنواع المحبة يمثل أعلى درجاتها، وهي في حقيقة الأمر كما بينه أهل التحقيق أعلى درجات المحبة في العلاقة بين الناس بعضهم لبعض. ومن الله لخليليه إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة و السلام فحسب، وحيث درجات المحبة عشر درجات تمثل مستوى تكوين العلاقة بين المحب والمحبوب كما بينها ابن القيم[1] يرحمه الله، تبدأ من العلاقة تتبعها الإرادة، ومن ثم الصبابة، ومن ثم الغرام، ومن ثم المودة، ومن ثم الشغف، ومن ثم العشق، ومن ثم التتيم، ومن ثم التعبد، ومن ثم الخلة التي هي أعلى درجات المحبة.ولكل من هذه الدرجات العشر، حكمه الشرعي في محله، وجمعتها في قولك:

علاقة إرادة وصباب حب *** وغرام ود في شغاف قلب
وعاشق متيم وعابد بحب *** من خل ساكن خلال قلب

ومن ذلك نعلم أن الخلة أعلى درجات المحبة، وتطلق على الذي تخللت محبته مسالك القلب، وشغل منافذ العقل، وسيطر على الفكر، ويسمى المحبوب خليلا، وأما بالنسبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإن النبي ﷺ عندما قَالَ: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً)[2] لأنه قد اتخذ الله خليلاً، فمحبة الله قد تخللت مسالك القلب منه ﷺ ولا يزاحمه أحد من المخلوقين عَلَى الإطلاق، وكذلك بالنسبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإن الله تَعَالَى يحبه محبة لا يحبها أحداً من العالمين، يحب إبراهيم ويحب محمداً ﷺ محبة لا يحبها غيرهما من الناس فهما خليلا الله سبحانه وتعالى.وأورد شارح العقيدة الطحاوية بيان ذلك بأن الخلة كمال المحبة،

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣ هـ، ج٣، ص: ٢٧.

(٢) انظر: صحيح مسلم–كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم–باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه،حديث رقم: ٦٣٢٠ (٧/ ١٠٨).

قال: (بين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلا، وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق ، مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصا، كقوله لمعاذ: "والله إني لأحبك"، وكذلك قوله للأنصار. وكان زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ، وابنه أسامة حبه. وأمثال ذلك. وقال له عمرو بن العاص: أي الناس أحب إليك ؟ قال: "عائشة"، قال: فمن الرجال ؟ قال: "أبوها". فعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها لكمالها يكون محبا لذاته، لا لشيء آخر، إذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة، لتخللها المحبة، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب، ولذلك لما اتخذ الله إبراهيم خليلا، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا، فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه به بذبحه، ليظهر سر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله، فظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد إيثارا لمحبة خليله على محبته، نسخ الله ذلك عنه، وفداه بالذبح العظيم؛ لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس على ما أمر، فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح نفسه مفسدة، فنسخ في حقه، وصارت الذبائح والقرابين من الهدايا والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة)[1]. ومما حدده أهل العلم والمعرفة لأنواع المحبة من تقسيمات على وجوه معتبرة عند بعضهم البعض ما يلي:

الوجه الأول: من حيث الحكم الشرعي

١) محبة جائزة شرعا. (المحبة الموافقة لشرع الله)
٢) محبة غير جائزة شرعا. (المحبة المخالفة لشرع الله)

ولكل منها ضوابط شرعية بما تقتضيه أدلة الشرع، وقدمته في البيان لما رأيته صوابا في التقسيم وأقرب من غيره شرعا وعقلا، وأجدر في إمكانية الحصر، لمن دقق النظر في معنى المحبة الواسع، ولمن أراد معرفة الإصابة من الخطأ في حبه وما يحب، وعليه قسَّمْتُ أنواع المحبة في الكتاب والسنة إلى قسمين ولكل منهما فروعه الخاصة والعامة:

١) المحبة النافعة المحمودة المباحة.
٢) المحبة الضارة المذمومة غير المباحة.

الوجه الثاني: من حيث العموم والخصوص

١) المحبة الخاصة:وهي على ثلاثة أقسام:
أ) محبة الله، وهي أصل الإيمان والتوحيد والعبادة.
ب) محبة في الله، وهي محبة أتباعه، وما يحبه من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرها.
ج) محبة مع الله، وهي محبة المشركين لآلهتهم والكفار لدينهم وهي أصل الشرك والكفر.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية . صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي . تخريج : محمد ناصر الدين الألباني .دار السلام للطباعة ط١: ١٤٢٦هـ ، ج١ . ص: ٢٩٤- ٢٩٥ .

٢) المحبة العامة: وهي المحبة الطبيعية لما يوافق المرء في الحياة، ويلائمه من مال وزوجة وولد، وطعام وشراب وملبس ومسكن، وعشرة وألفة وغيرها، فما أعان على محبة الله وطاعته دخل في المباحات، وما عارض ذلك وصد عنه دخل في المنهيات.

الوجه الثالث: من حيث طبيعتها وآثارها

١- المحبة الحسية، وهي ما يغلب عليه الجانب المادي، كحب الأبناء والمال والأنعام، قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[١].

٢- المحبة المعنوية، وهي ما يغلب عليه الجانب المعنوي كحب سماع المواعظ والعلم، وحب الأذكار وحب وجوه البر والخير، قال الله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[٢].

الوجه الرابع: من حيث ميل النفس وظنها في الخير

وعليه صنف أبو الراغب الأصبهاني[٣] المحبة إلى نوعين:

١- طبيعي، ويكون في الإنسان والحيوان، وقد يكون بين الجمادات كألفة الحديد وحجر المغناطيس. أي من حيث الصفات و الصلة وطبيعة الخلقة في الجذب .

٢- اختياري، ويختص به الإنسان، وهو على أربعة ضروب: الأول: للشهوة، والثاني: للمنفعة، والثالث: للشهوة والمنفعة معا، والرابع: للفضيلة. وما يكون منها في الحيوان فهو ألفة.

الوجه الخامس: من حيث وحدة الجنس واختلاف الأغراض

حدد ابن حزم[٤] المحبة بأنها كلها جنس واحد، و أوضح معناها بقوله: أنها الرغبة في المحبوب، وكراهة منافرته، والرغبة في المقارضة منه بالمحبة. وإنما قدر الناس أنها تختلف من أجل اختلاف الأغراض فيها، وإنما اختلفت الأغراض من أجل اختلاف الأطماع وتزايدها وضعفها وانحسامها، فتكون المحبة لله عز وجل وفيه، وللاتفاق على بعض المطالب، وللأب والابن والقرابة والصديق والسلطان، ولذات الفراش، والمحسن، والمأمول، والمعشوق، فهذا كله جنس واحد اختلفت أنواعه كما وصفت لك على قدر الطمع فيما ينال من المحبوب.

الوجه السادس: من حيث التعددية والحصر والفضل

وقد وجدت أن من أدق التقسيمات في هذا الفرع، ما صنفه الإمام ابن قيم الجوزية، وله ثلاثة أوجه:

---

(١) سورة آل عمران: ١٤.

(٢) سورة آل عمران: ٩٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصبهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مصر: شركة مكتبة البابي والحلبي، ١٣٨١هـ، ص: ١٠٥.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٠م.ج ١، ص: ٣٦٩.

أ) التعدد المطلق للمحبة، وهو حقيقتها، بقوله (وَالْمَحَبّةُ أَنْوَاعٌ مُتَعَدّدَةٌ فَأَفْضَلُهَا وَأَجَلّهَا: الْمَحَبّةُ فِي اللّهِ وَلِلّهِ، وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ مَحَبّةَ مَا أَحَبّ اللّهُ وَتَسْتَلْزِمُ مَحَبّةَ اللّهِ وَرَسُولِه. وَمِنْهَا مَحَبّةُ الاتّفَاقِ فِي طَرِيقَةٍ أَوْ دِينٍ أَوْ مَذْهَبٍ أَوْ نِحْلَةٍ أَوْ قَرَابَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ أَوْ مُرَادٍ مَا. وَمِنْهَا: مَحَبّةٌ لِنَيْلِ غَرَضٍ مِنْ الْمَحْبُوبِ، إمّا مِنْ جَاهِهِ أَوْ مِنْ مَالِهِ، أَوْ مِنْ تَعْلِيمِهِ وَإِرْشَادِهِ، أَوْ قَضَاءِ وَطَرٍ مِنْهُ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَحَبّةُ الْعَرَضِيّةُ الّتِي تَزُولُ بِزَوَالِ مُوجِبِهَا فَإِنّ مَنْ وَدّك لِأَمْرٍ وَلّى عَنْك عِنْدَ انْقِضَائِهِ. وَأَمّا مَحَبّةُ الْمُشَاكَلَةِ وَالْمُنَاسَبَةِ الّتِي بَيْنَ الْمُحِبّ وَالْمَحْبُوبِ؛ فَمَحَبّةٌ لَازِمَةٌ لَا تَزُولُ إلّا لِعَارِضٍ يُزِيلُهَا، وَمَحَبّةُ الْعِشْقِ مِنْ هَذَا النّوْعِ، فَإِنّهَا اسْتِحْسَانٌ رُوحَانِيّ وَامْتِزَاجٌ نَفْسَانِيّ، وَلَا يَعْرِضُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَحَبّةِ مِنْ الْوَسْوَاسِ وَالنّحُولِ، وَشَغْلِ الْبَالِ وَالتّلَفِ، مَا يَعْرِضُ مِنْ الْعِشْقِ)[1].

ب) الحصر المقتضب للمحبة، وهو أحسنها، حيث حصرها في كتابه إغاثة اللهفان في نوعين، كل نوع في ثلاثة أقسام، قال: (فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع: محبة الله، ومحبة في الله، ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته، والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع الله، ومحبة ما يبغضه الله تعالى، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها، فهذه ستة أنواع عليها مدار محاب الخلق، فمحبة الله عز وجل أصل المحاب المحمودة، وأصل الإيمان والتوحيد، والنوعان الآخران تبع لها، والمحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة والنوعان الآخران تبع لها)[2]

ج) الحصر الشامل للمحبة، وهو أفضلها، ويعلم فضل هذا الحصر بما حواه من إرادة العلم، حيث قال في كتابه الداء والدواء[3]: (أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَهَا، وَإِنَّمَا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ بِعَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهَا.

أَحَدُهَا: مَحَبَّةُ اللَّهِ، وَلَا تَكْفِي وَحْدَهَا فِي النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَالْفَوْزِ بِثَوَابِهِ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَعُبَّادَ الصَّلِيبِ وَالْيَهُودَ وَغَيْرَهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ.

الثَّانِي: مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُدْخِلُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَتُخْرِجُهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَقْوَمُهُمْ بِهَذِهِ الْمَحَبَّةِ وَأَشَدُّهُمْ فِيهَا.

الثَّالِثُ:الْحُبُّ لِلَّهِ وَفِيهِ،وَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ مَا يُحِبُّ،وَلَا تَسْتَقِيمُ مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّ إِلَّا فِيهِ وَلَهُ.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ،ج٤، ص: ٢٧٠ – ٢٧١.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي ، بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥، ج ١، ص: ١٤٠ – ١٤١.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ، ص: ١٨٩ – ١٩٠.

الرَّابِعُ: الْمَحَبَّةُ مَعَ اللَّه، وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الشِّرْكِيَّةُ، وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا مَعَ اللَّهِ لَا لِلَّه، وَلَا مِنْ أَجْلِه، وَلَا فِيه، فَقَدِ اتَّخَذَهُ ندًّا مِنْ دُونِ اللَّه، وَهَذِه مَحَبَّةُ الْمُشْرِكِينَ.

وَبَقِيَ قِسْمٌ خَامِسٌ لَيْسَ مِمَّا نَحْنُ فِيه: وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ، وَهِيَ مَيْلُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا يُلَائِمُ طَبْعَهُ، كَمَحَبَّةِ الْعَطْشَانِ لِلْمَاءِ، وَالْجَائِعِ لِلطَّعَامِ، وَمَحَبَّةِ النَّوْمِ وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ، فَتِلْكَ لَا تُذَمُّ إِلَّا إِذَا أَلْهَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّه، وَشَغَلَتْ عَنْ مَحَبَّتِه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[2].

ولقد حاولت في هذه الدراسة الحصر لما يمكن حصره، من أنواع المحبة في حدود الأقسام العامة لها، ووفق عناصر التقسيم المعتبرة شرعا وعقلا، على ضوء النصوص الواردة في الكتاب والسنة الصريحة بلفظها، والتي يمكن للمتأمل فيها أن يصنف المحبة إلى نوعين حسبما قرره علماء الشرع في أصول الدين وفروعه، يندرج تحت هذين النوعين عدد من أقسام المحبة، لكل منها درجاته وسماته العامة، أوضحها فيما يلي:

أولا: المحبة النافعة المحمودة المباحة:

١- محبة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين اعتقادا وقولا وعملا.

٢- محبة الطاعات الشرعية،وهي محبة ما يرضي الله.

٣- المحبة الطبيعية المباحة ومنها: محبة إشباع ورغبة وحاجة، أو محبة إشفاق ورحمة وعطف، أو محبة ألفة وعشرة وأنس، أو محبة إجلال وتقدير واحترام.

ثانيا: المحبة الضارة المذمومة غير المباحة:

١- محبة الشرك والكفر والنفاق اعتقادا وقولا وعملا.

٢- محبة المعاصي، وهي محبة ما لا يرضي الله .

٣- المحبة الطبيعية المذمومة ومنها: محبة إشباع ورغبة وحاجة، أو محبة إشفاق ورحمة وعطف، أو محبة ألفة وعشرة وأنس، أو محبة إجلال وتقدير واحترام.

---

(١) سورة المنافقون : ٩.

(٢) سورة النور : ٣٧.

أولا: المحبة النافعة المحمودة المباحة

١- محبة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين اعتقادا وقولا وعملا:

المحبة الجامعة لله ولرسوله وللمؤمنين، من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، ولكل جزء منها تفصيل دقيق، يوجبه مقتضى الإيمان في حق الله والرسول ﷺ والمؤمنين، ويلزم منه صحة المعتقد وصدق القول والعمل، وينتج عنه النفع العظيم في الدنيا والآخرة، عن أنس ﷺ: «أنَّ رجُلاً سأل النبيَّ ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعةُ؟ قال: وماذا أعدَدْتَ لها؟ قال: لاشيء، إلاّ أني أحبُّ اللَّهَ ورسوله ﷺ، فقال: (أنتَ مع من أحببت). قال أنسٌ: فما فرِحنا بشيءٍ فرحَنا بقول النبيِّ ﷺ: (أنتَ معَ من أحببت). قال أنس: (فأنا أحبُّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمرَ، وأرجو أن أكونَ معهم بحبِّي إياهم، وإن لم أعملْ بمثلِ أعمالِهم)[١]. ويتضح منه أن محبة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين من أصول الإيمان، وأن لها علامات ودلائل – هي محل بحث في محلها[٢] – وهنا يجب البيان أن من أعظم المنافع التي يجنيها العبد من ذلك، أن تحفه النفحات الربانية والمنح الإلهية يوم القيامة، ويسعد بصحبة إمام خير البرية نبينا محمد ﷺ، وعباد الله المؤمنين الصالحين في الجنة؛فهي هنا في حق السائل فوز وفي حق المؤمنين المحبين بشارة، وفي حق من أحب الكافرين والمنافقين تحذير و نذارة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴾[٣] ألا وإن من أعظم دلائل المحبة الطاعة وإن قَصُرَ بالمرء العمل مع اجتهاده في تحصيله؛ فإن القلب بما يحمله من احتساب في الحب يلحق صاحبه بمن أحب في الأجر والمكانة على ما كسب واكتسب من الأعمال وبحسب نيته يعطى الأجر، فإن من أجل النعم وأعظم الفضائل طاعة الله ورسله وملازمة أتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين، قال ابن بطال: (فدل هذا أن من أحب عبدًا في الله فإن الله جامع بينه وبينه في جنته ومدخله مدخله وإن قصر عن عمله، وهذا معنى قوله: (ولم يلحق بهم) يعني في العمل والمنزلة، وبيان هذا المعنى – والله أعلم – أنه لما كان الحب للصالحين، وإنما أحبهم من أجل طاعتهم لله، وكانت المحبة عملا من أعمال القلوب، واعتقادًا لها؛ أثاب الله معتقد ذلك ثواب الصالحين، إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها، والله يوتي فضله من يشاء)[٤] وأورد غير واحد من أئمة السلف أن المعية في قولهﷺ: (أنتَ معَ من أحببت)[٥] لا يقصد منها

---

(١) انظر: صحيح البخاري –كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ –باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه،حديث رقم: ٣٦٨٨ (٥/ ١٢).

(٢) الباب الثاني: الفصل الثالث: المبحث الأول: المطلب الأول: أثر المحبة في العقيدة.

(٣) سورة النساء: ٦٩-٧٠.

(٤) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج٩، ص: ٣٣٣.

(٥) انظر صحيح البخاري –كتاب الأدب–باب علامة حب الله عز وجل حديث رقم: ٣٦٨٨ (٥/ ١٢)، وانظر صحيح مسلم– كتاب البر والصلة والآداب – باب المرء مع من أحب حديث رقم: ٦٨٧٨ (٨/ ٤٢).

توحيد المنزلة وانعدام الفرق، فإن ذلك محال، وإنما يكون ذلك في القرب والبعد وعموم الثواب. والذي عليه الاعتبار أن دخول الجنة يدور مع الإيمان، وأن الطاعات بها اتقاء النار، وأن منزلة المُحبِّ للنبي ﷺ في الجنة، تكون بحسب حبه، والمعية فيها تكون بحسب القرب والبعد من منزلته ﷺ في الجنة، وعليها ومعها تدور المحبة بين المتحابين. ورؤية الحبيب ومعاشرته، هي من أبرز ما يوثق العلاقة ويقرب في التواصي على الحق، مما يجعل طمع الموافقة في المرافقة عند الثواب يوم القيامة من الدواعي الهامة لاستمرار العلاقة والحرص عليها، وقد دلت السنة المطهرة على أفضلية الزمان، بخيرية قرن النبي ﷺ على القرون لوجوده فيه، فلزمه من لزمه من الصحابة، وحرص كثير من الناس على رؤيته لوجود بركته في شخصه، وأخذ الدين منه مباشرة وحازوا الشرف بذلك، وبقي لمن بعدهم محبته واتباع شريعته ولزوم سنته، والمكسب الرابح لمن حظي بالحشر في معيته ﷺ ومرافقته في الجنة، وقد حس الصحابة رضي الله عنهم بالغربة حين فارقهم ﷺ وانقطع الوحي، الذي كان به الهدى والنور، وتمنوا وجوده ﷺ بينهم ولوكان الأهل والمال فداء، حيث تجلى الحب في أزكى معانيه وأروع صوره، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمْ الشَّعَرُ، وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ، وَالنَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ)[1]. ذكر النووي يرحمه الله جملة المقصود من الحديث في شرحه حيث قال: (وَمَقْصُود الْحَدِيث حَثهُم عَلَى مُلَازَمَة مَجْلِسه الْكَرِيم، وَمُشَاهَدَته حَضَرًا وَسَفَرًا لِلتَّأَدُّبِ بِآدَابِهِ، وَتَعَلُّم الشَّرَائِع وَحِفْظهَا لِيُبَلِّغُوهَا، وَإِعْلَامهمْ أَنَّهُمْ سَيَنْدَمُونَ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِيهِ، مِنْ الزِّيَادَة مِنْ مُشَاهَدَته وَمُلَازَمَته)[2]وما دفن ﷺ إلا وجد الصحابة غربة في قلوبهم، حيث غاب ﷺ عن أبصارهم وفقدوا من هو أغلى من أهلهم وأموالهم، وماجت الفتن وما رزأت الأمة بمصيبة مثل موته ﷺ هو بأبي وأمي وأهلي.

٢- محبة الطاعات التي أمر بها الله :

الطاعة في اللغة: من (طوع)وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس (الطاء والواو والعين أصلٌ صحيحٌ واحد يدلُّ على الإصحاب والانقياد. يقال طاعَه يَطُوعه، إذا انقاد معه ومضى لأمره. وأطاعه بمعنى طاعَ له. ويقال لمن وافَقَ غيرَه: قد طاوعه)[3] وحين القول: فلانٌ طَوْعُ يديك، أي منقادٌ لك. وفرسٌ طَوْعُ العنان، إذا كانَ سلس القياد ومنه أمره فأطاعه.

---

(١) انظر:صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم:٣٥٨٩ (٤/ ١٩٦).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج١٥، ص: ١١٨ – ١١٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٣ ص: ٤٣١ .

والطاعة في الاصطلاح الشرعي: الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ باتباع أوامر الإسلام والانتهاء عن نواهيه كما جاء عن الله وبين الرسول ﷺ. قال القرطبي في تعريف طاعة الله : (هي امتثال أوامره واجتناب نواهيه)[١]، وقال الإمام الطبري في تفسيره عند قول الله تعالى: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[٢] (يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، وأطيعوا رسوله محمدًا ﷺ، فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة، وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته)[٣]ومن طاعة الله وطاعة رسوله طاعة ولاة الأمر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ يُطِعْ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي)[٤].

والطاعات على ثلاثة أقسام بحسب ما يغلب على محل صدورها وهي:

١- الطاعات القلبية: ومنها الإنابة والتوكل والحب والبغض.

٢- الطاعات القولية: ومنها الذكر وصدق القول وشهادة الحق.

٣- الطاعات العملية: ومنها الصلاة والزكاة والجهاد والحج.

وتقوم الطاعات على ما قام عليه الدليل الشرعي من الحلال والحرام واتقاء الشبهات، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[٥] فإن المؤمن حافظ لحدود الله، يبتغي رضا الله بمحبة الطاعات المقربة لحبه سبحانه، سابق بالخيرات بإذن الله، يعمل بإخلاص وفق حدود الشريعة، بما أمر به القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية الشريفة، وبما يحب الله ويرضى من الأقوال و الأعمال الظاهرة والباطنة. ومن أول ما يجب تحقيقه أركان الإيمان وأركان الإسلام وهي المقدمات في الدعوة وعليها يقوم الداعية بترتيب الأولويات في دعوته.

٣- المحبة الطبيعية المباحة:

ومنها ما هو محبة إشباع ورغبة وحاجة، أو محبة إشفاق ورحمة وعطف، أو محبة ألفة وعشرة وأنس، أو محبة إجلال وتقدير واحترام. وقد جاءت نصوص القرآن والسنة بما يوافق طبيعة حياة الإنسان الدنيوية، ويحقق رغباته الفطرية، ويؤكد درء التعارض بين طبيعة الإنسان وأحكام الشرع، ومن أدلة ذلك ما جاء عن النبي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن،: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢ ، ١٣٨٤هـ، ج ٥، ص ٢٥٩.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص: ٤٩٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري –كتاب الجهاد والسير–باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به حديث رقم: ٢٩٥٧ (٤/٥٠)، وانظر صحيح مسلم –كتاب الإمارة–باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية حديث رقم: ٤٨٥٢ (٦/ ١٣).

(٥) سورة النحل: ١١٥- ١١٧.

ﷺ في المحبة، مما يظهر منه الجمع بين رغبات الفطرة وتكاليف الشريعة، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما حبب إلي من الدنيا ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة)[١].وأعرض هنا هذا التقسيم وهو جهد مبذول في تقريب أنواع المحبة بحسب إرادة الإنسان الملحة في طلب معيشة سوية وحياة سعيدة، ولا يمكن له ذلك إلا بتحقيق شرط الإباحة الشرعية في طلبه ومطلبه، وفق أحكام الدين في أصوله وفروعه، وهذا العرض خاص بما أباحه الشرع وأحبه الإنسان محبة طبيعية، وجاء بلفظ الحب الصريح في الكتاب والسنة، وهو كما يلي:

أ) محبة إشباع ورغبة وحاجة: ومنها:

١) محبة التداوي وكراهة الكي:

قال الله تعالى في حق نبيه أيوب عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾[٢] قال ابن كثير يرحمه الله: (ذكر تعالى عبده ورسوله أيوب عليه السلام، وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده، حتى لم يبق من جسده مَغْرز إبرة سليما، سوى قلبه، ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به على مرضه، وما هو فيه، غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه، وتخدمه نحوا من ثماني عشرة سنة)[٣] فمع قوة البلاء كان عليه السلام في قوة من الإلحاح في الدعاء، فاستجاب الله له وزاده بسطة في المال والأهل والولد، وأصبح مضرب المثل في الثبات والصبر. فإن التداوي مطلب طبعي لكل من تغيرت أحواله إلى العجز والضعف، من المرض البدني أوالنفسي، وقد أمرنا في شريعة الإسلام بالتداوي وطلب الشفاء، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: إن كان في شيء من أدويتِكم خيرٌ ففي شَربةِ عسل أو شرطةِ مِحجم، أو لَذعة مِن نار، وما أحبُّ أن أَكتَوِي»[٤].

وهذه من الأدوية الطبيعية، وذكر ابن القيم يرحمه الله في الطب النبوي قوله: (وَكَانَ عِلَاجُهُ ﷺ لِلْمَرَضِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ،أَحَدُهَا: بِالْأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيّةِ.وَالثّانِي: بِالْأَدْوِيَةِ الْإِلَهِيّةِ.وَالثّالِثُ بِالْمُرَكّبِ مِنْ الْأَمْرَيْنِ)[٥]وكأن

(١) انظر: سنن النسائي–كتاب عشرة النساء– باب حب النساء، حديث رقم: ٣٩٤٩(٧٧٢/).وانظر: مسند الإمام أحمد – مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم : ١٢٢٩٣ (١٩/ ٣٠٥)١تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير للسيوطي .

(٢) سورة ص: ٤١ – ٤٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٧ ، ص: ٧٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري – كتاب الطب– باب الحجم من الشقيقة والصداع، حديث رقم: ٥٦٨٣ (٧/ ١٢٣) وانظر: صحيح مسلم–كتاب السلام–باب لكل داء دواء واستحباب التداوى، حديث رقم: ٥٨٧٣ (٧/ ٢١).

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ،ج٤، ص: ٢٤.

مقصده يرحمه الله بالأدوية الإلهية والمركبة، أن الله تعالى أمرنا بالدعاء وأذن النبي ﷺ باستعمال الرقية الشرعية كقراءة الفاتحة والمعوذتين وآية الكرسي إما مباشرة على الجسد أو بواسطة كماء أو عسل أو غيره من المباحات .

وقال الله تعالى في عقيدة إبراهيم عليه السلام، في حال الصحة والمرض، قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[1] و من هدي الكتاب والسنة في المرض ومحبة التداوي وكراهة الكي دروس عقدية ودعوية كثيرة، وعبر وعظية عظيمة، منها أن المرض يكون بقدر الله تعالى وأن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب. وأن المرض من البلاء ويجب على العبد الصبر و الدعاء وطلب الشفاء من الله تعالى، وهو في حق الصالحين يكون المرض بلاء محبة من الله تعالى ونعمة، وعلى غيرهم بلاء سخط وعذاب ونقمة.و أن على المريض أن يبذل الجهد في البحث عن أسباب الشفاء المعنوية والمادية. وأن من وسائل التداوي الشرعية: الرقية الشرعية و العسل والحجامة والكي.وأن كراهة النبي ﷺ للكي كما قرر العلماء، تأتي كونه ﷺ أشد الناس توكلا على الله، والمتوكلون على الله حق التوكل، لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون، كما في حديث عكاشة بن محصن[2]رضي الله عنه وأنه ﷺ كثيرا ما يستعيذ من النار، وأجاز العلماء الكي في التداوي لهذا الحديث ولغيره.ومن الدروس أيضا، العلم بأن للمرض فوائد صحية على الجسم، و نفسية على المريض، واجتماعية على المجتمع ومنها زيارة المريض ودورها في التخفيف على المريض والتآلف بين الناس وزيادة المحبة بينهم.

٢) حب المال الحلال والحرص على جمعه والأمن عليه:

إن المال من أسس الحياة البشرية، وإن جمعه والمحافظة عليه من جبلة الإنسان وطبيعته؛ لذا جاءت أوامر الشرع في الكتاب والسنة بتحديد أوجه الاكتساب والإنفاق، بما يكفل للإنسان حق التملك ويشبع غريزته، ويكفل حق الصالح العام للفرد والمجتمع ، وبما يضمن حياة العدل والتوازن، ومن غايات الدعوة إلى الله، بيان هدي الكتاب والسنة في محبة المال ومنها: أن المال مال الله، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو الرزاق ذو القوة المتين، وكل من ملك مالا فهو مسؤول عنه: من أين اكتسبه ؟ وفيما أنفقه ؟. قال

(١) سورة الشعراء: ٨٣ – ٨١.

(٢) انظر: صحيح البخاري– كتاب الطب– باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، حديث رقم: ٥٧٠٥ (٧/ ١٢٦) وانظر: صحيح مسلم – كتاب الإيمان– باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب حديث رقم: ٥٤٧ (١/ ١٣٧).

الله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[١] ويكون هذا البيان مشتملا على توضيح أوجه الكسب المحرم، كالربا والغش وأكل أموال الناس بالباطل.وأوجه الكسب الحلال، كالاستثمار الشرعي من البيع والشراء والميراث والأوقاف والهبات.وأن أداء الحقوق الشرعية في المال، كالزكاة المفروضة والصدقات والنفقات بركة ونماء، وهو مصدر عوض في الحقوق والجنايات والجوائح. ومصدر قوة ورفعة، وبه تكون المتعة والمنعة، ساد به الملوك والكرماء وارتفعوا.وأن المال تكون القوامة فيه بالإنفاق المعتدل، بعدا عن الإسراف والبخل. وأن المال من السبل الموصلة إلى دخول النار بالطغيان فيه والاستعلاء به، والجشع والكبر. ومن السبل الميسرة لدخول الجنة، تضاعف به الحسنات أضعافا كثيرة.وأن الحرص على جمعه تكثرا يورث الطمع، ومنه النفس لا تشبع. وقد وُصِفَ في القرآن بأنه سبيل زينة وفتنة وغرور، عن عباس[٢] بن سهلِ بن سعد ﷺ قال: «سمعتُ ابنَ الزُّبير على المنبر بمكةَ في خُطبَته يقول: يا أيها الناسُ، إنَّ النبيَّ ﷺكان يقول: لو أنَّ ابن آدمَ أُعطِيَ وادياً مَلآنَ من ذهب أحبَّ إليه ثانياً، ولو أُعطيَ ثانياً أحبَّ إليه ثالثاً، ولا يَسُدُّ جَوفَ ابن آدمَ إلاَّ التراب. ويَتوبُ اللَّهُ عَلَى مَن تاب»[٣].وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[٤] قال الإمام الطبري في تفسيره: (عني تعالى ذكره بقوله: (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حبا كثيرا شديدا، من قولهم: قد جمّ الماء في الحوض: إذا اجتمع)[٥]، وعن يعلى بن سيابة[٦]ﷺ قال: «كنت مع النبيّ ﷺ في مسير له، فأراد أن يقضي

---

(١) سورة الحديد: ٧.

(٢) عباس بن سهل بن سعد الأَنْصارِيّ الساعدي، المدني، والد أبي بن عباس، وعبد المهيمن بن عباس. أدرك زمان عثمان بن عفان، وهو ابن خمس عشرة سنة.انظر تهذيب الكمال للمزي (١٤ / ٢١٢). فقيه، أَحَدُ ثِقَاتِ التَّابِعِيْنَ، وَثَّقَهُ: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، وَغَيْرُهُ. قِيْلَ: تُوُفِّيَ قَرِيْباً مِنْ سَنَةِ عِشْرِيْنَ وَمائَةٍ، بِالمَدِيْنَةِ.انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٩ / ٣٠٩).

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الرقاق-باب مايتقى من فتنة المال،حديث رقم: ٦٤٣٨ (٨/ ٩٣) وانظر: صحيح مسلم -كتاب الزكاة-باب لو أن لابن آدام واديين لابتغى ثالثا، حديث رقم: ٢٤٦٢ (٣/ ٩٩).

(٤) سورة الفجر: ١٥ – ٢٠.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ٤١٥.

(٦) يعلى بن مرة بن وهب بن جابر بن عتاب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي أبو المرازم بفتح الميم والراء وكسر الزاي المنقوطة بعد الألف وهو يعلى بن سيابة وسيابة أمه، قال يحيى بن معين: شهد خيبر وبيعة الشجرة والفتح وهوازن والطائف، قال أبو عمر: كان من أفاضل الصحابة روى عن النبي ﷺ أحاديث. انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٦ / ٦٨٧). ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثالثة من أصحاب رسول الله ﷺ من ثقيف، عداده في أهل الكوفة، وقيل: في أهل البصرة، وله بها دار.انظر تهذيب الكمال للمزي (٣٢ / ٣٩٩).

حاجة، فأمر وديتين فانضمت إحداهما إلى الأخرى، ثم أمرهما فرجعتا إلى منابتهما، وجاء بعير فضرب بجرانه[١] إلى الأرض، ثم جرجر حتى ابتل ما حوله، فقال النبيّ ﷺ: أتدرون ما يقول البعير؟ أنه يَزعُم أن صاحبه يريد نحره، فبعث إليه النبيّ ﷺ، فقال: أواهبه أنت لي؟ فقال: يا رسول الله ما لي مال أحب إليّ منه، قال: استوصِ به معروفاً، فقال: لا جرم، لا أكرم مالاً لي كرامته يا رسول الله. وأتى على قبر يعذَّب صاحبه، فقال: إنه يعذب في غير كبير، فأمر بجريدة فوضعت على قبره، فقال: عسى أن يخفف عنه ما دامت رطبة»[٢]. وعن أبي سعيد الخدريُّ ﷺ «أنه بينما هو جالسٌ عندَ النبيِّ ﷺ جاءَ رجلٌ من الأنصار، فقال يا رسولَ اللَّه، إنا نُصيبُ سَبْياً ونحبُّ المالَ، كيفَ ترَى في العَزلِ؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: أوَ إنكم تَفعلونَ ذلك؟ لا عليكم ألا تَفعلوا، فإنه ليست نَسمةٌ كتبَ اللَّهُ أَن تَخرُجَ إلا هيَ كائنة»[٣]. وحب المال متعلق به شؤون كثيرة ، ومما يطلق عليه في القرآن لفظ الخير، قال الإمام الطبري: (عَنْ مُجَاهد: {إِنْ تَرَكَ خَيْرًا} كَانَ يَقُولُ الْخَيْرُ فِي الْقُرْآن كُلِّه الْمَالُ {لحُبِّ الْخَيْرِ لَشَديدٌ} الْخَيْرُ: الْمَالُ وَ {أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} الْمَالُ {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} الْمَالُ {إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ} مَالاً)[٤]

٣) حب أنواع الطعام الحلال:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[٥]أمر الله سبحانه عباده قبل هذه الآيات بالتقوى، وثنَّى لهم الأمر بعدها بالزينة والستر في اللباس عند الصلاة، والاستمتاع بالمأكل والمشرب من الطيبات التي رزقهم؛ ليتنعموا بها في غير إسراف، وليقوموا بواجب عبادته سبحانه، فإن حاجة الجسم للطعام والشراب متجددة ولا يمكن أن تقوم للإنسان حياة بدونها إلا أن يشاء الله؛ فبسط الله أصناف المآكل وأنواع المشارب في الأرض بما لا يمكن حصره، فما كان منه النفع فقد أمر بحله، وما كان منه الضرر فقد أمر بحرمته، ووجه الشرع بالإحسان من

---

(١) جران :الجيم والراء والنون أصلٌ واحد، يدلُّ على اللين والسُّهولة. يقال للبَيْدَرِ جَرينٌ ؛ لأنّه مكان قد أُصْلِحَ ومُلِّسَ. والجارن من الثياب: الذي انسَحَق ولانَ. وجَرَنَتِ الدِّرْعُ: لانَتْ وامْلاَسَّتْ. ومن الباب جِرَانُ البعير: مُقَدَّم عُنُقه من مَذْبَحِه .انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٤٧/١).

(٢) انظر مسند الإمام أحمد– مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم : ١٧٥٥٩ (٢٩/ ١٠١) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده ضعيف لجهالة حبيب بن أبي جبيرة . وللحديث أصل عند البخاري في صحيحه من رواية ابن عباس رضي الله عنهما في الطهارة والنميمة .

(٣) انظر: صحيح البخاري –كتاب القدر–باب وكان أمر الله قدرا مقدورا، حديث رقم: ٦٦٠٣ (٨/ ١٢٣).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ، ج ٣ ، ص : ٣٩٣.

(٥) سورة الأعراف: ٣١– ٣٢.

الطيبات والعطاء منها ، عن دكين بن سعيد المزني قال: «أتينا رسول الله ﷺ أربعين راكباً وأربعمائة نسأله الطعام، فقال لعمر: اذهب فأعطهم، فقال: يا رسول الله ما بقي إلا آصع من تمر ما أرى أن يُقَيِّظُني، قال: اذهب فأعطهم، قال: سمعاً وطاعة، قال: فأخرج عمر المفتاح من حجزية، ففتح الباب، فإذا شبه الفصيل الرابض من تمر، فقال: لتأخذوا، فأخذ كل رجل منا ما أحب، ثم التفت وكنت من آخر القوم، وكأنا لم نرزأ تمرة»[١]. ومحبة الإنسان للطعام محبة فطرية والأصل فيه الحل، عن ابن عباس ﷺ، قال: (أهدي للنبي أقط وسمن وأضب فقال النبي: أما هذه فليس تكون بأرضنا، فمن أحب منكم أن يأكل فليأكل على خواء، ولم يأكل منه)[٢].فلم يأكل النبي ﷺ من الضباب كراهة طبع، وتختلف النفوس والطباع فيما يحب منه ويكره من الأطعمة والأشربة، ضمن حدود الشريعة في الحلال والحرام، إلا ما كان من نذر ما لم يكن نذر معصية، وقد حرم نبي الله يعقوب عليه السلام –إسرائيل – على نفسه ما أوضحته السنة في تفسير قوله الله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[٣] عن عبد الله بن عباس ﷺ: « حضرت عصابةٌ من اليهود رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنها، لا يعلمهن إلا نبي، فكان فيما سألوه أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة ؟ قال: فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى،هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً، فطال سقمه، فنذر لله نذراً: لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، فكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها ؟ فقالوا: اللهم نعم »[٤]. ومن المآكل التي كان النبي ﷺ يحبها: الذراع من لحم الشاة وعراقها،والثريد و الحيس، و القرع، والخل، والزبد، ومن الشراب الحلو البارد. ومما جاءت به السنة في ذلك ما يلي:

أ) حبه ﷺ الذراع من لحم الشاة وعراقها:

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قالَتْ: «ما كانَ الذِّرَاعُ أحَبَّ اللَّحْمِ إلى رسولِ الله، ولَكِنْ كانَ لا يَجِدُ اللَّحْمَ إلاَّ غِبًّا. فكَانَ يعْجَلُ إليه لأَنَّهُ أَعْجَلُهَا نُضْجًا»[٥]. محبة النبي ﷺ للحم الذراع محبة طبع ولذة ولا منافاة

(١) انظر: مسند الإمام أحمد–مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم : ١٧٥٧٧ (٢٩/ ١١٨). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده صحيح .

(٢) انظر: سنن النسائي الكبرى – كتاب البيوع – باب الموائد، حديث رقم ٦٥٩٣ (٦/ ٢١٨).صححه الطبري في تهذيب الآثار . وأصل الحديث في الصحيحين .

(٣) سورة آل عمران: ٩٣.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد – مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٤٧١ (٤/ ٢٧٧) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : حسن وهذا إسناد ضعيف .

(٥) انظر: سنن الترمذي –كتاب الأطعمة عن رسول الله ﷺ– باب ما جاء في أي اللحم كان أحب إلى رسول الله ﷺ ، حديث رقم: ١٨٣٨ (٤/ ٢٧٧)وضعفه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية .

بينهما، لأن من طبيعة الأكل لذة تتفاضل من كل فرد لآخر حسب الطباع، وحسب طبيعة المأكول ونوعه وطعمه، ونفي عائشة رضي الله عنها محبة النبي ﷺ للذراع في الحديث إلا لسرعة نضجها – رغم المقالة في عدم صحة الحديث – أجاب عنها العلماء كقول ابن حجر معلقا على الحديث (هَذَا بِحَسَبِ مَا فَهِمَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَإِلَّا فَالَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ السَّابِقَةُ[١] وَغَيْرُهَا أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّهُ مَحَبَّةً غَرِيزِيَّةً طَبِيعِيَّةً،سَوَاءٌ فَقَدَ اللَّحْمَ أَمْ لَا، وَكَأَنَّهَا أَرَادَتْ بِذَلِكَ تَنْزِيهَ مَقَامِهِ الشَّرِيفِ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَيْلٌ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَلَاذِّ، وَإِنَّمَا سَبَبُ الْمَحَبَّةِ سُرْعَةُ نُضْجِهَا، فَيَقِلُّ الزَّمَنُ فِي الْأَكْلِ، وَيَتَفَرَّغُ لِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى الْأَوَّلِ فَلَا مَحْذُورَ فِي مَحَبَّةِ الْمَلَاذِّ بِالطَّبْعِ ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ كَمَالِ الْخِلْقَةِ، وَإِنَّمَا الْمَحْذُورُ الْمُنَافِي لِلْكَمَالِ الْتِفَاتُ النَّفْسِ وَعَنَاؤُهَا فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ، وَتَأَثُّرُهَا لِفَقْدِهِ)[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ. فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ. وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ. فَنَهَسَ نَهْسَةً فَقَالَ «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لاَ يَسْأَلُونَهُ قَالَ: «أَلاَ تَقُولُونَ كَيْفَهُ؟» قَالُوا: كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ. وَزَادَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ. وَذَكَرَ قَوْلَهُ فِي الْكَوْكَبِ: هَذَا: رَبِّي. وَقَوْلَهُ لآلِهَتِهِمْ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا. وَقَوْلَهُ: إِنِّي سَقِيمٌ. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَيِ الْبَابِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ[٣] أَوْ هَجَرٍ وَمَكَّةَ»قَالَ: لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ.[٤]. وعن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قال: «كَانَ أَحَبَّ الْعُرَاقِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عُرَاقُ الشَّاةِ»[٥] وَهُوَ الْعَظْمِ إِذَا أُخِذَ عَنْهُ مُعْظَمِ اللَّحْمِ.ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في دعوته رسول الله ﷺ لمنزله لإعانته في قضاء دين عليه، وذبح له شاة، وقدمها له، فقال ﷺ لجابرﷺ : (كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ حُبَّنَا لِلَّحْمِ، ادْعُ لِي أَبَا بَكْرٍ قال:ثم دعا حواريه الذين معه فدخلوا فضرب رسول الله ﷺ بيده وقال: «بِسْمِ اللَّهِ كُلُوا» فأكلوا حتى شبعوا، وفضل لحم منها كثير)[٦].

---

(١) منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الصحيح المذكور بعده وقوله: (السابقة) أي حسب تصنيف المؤلف الإمام البخاري في الجامع الصحيح.

(٢) جَمْعُ الْوَسَائِلِ فِي شَرْحِ الشَّمَائِلِ، الملا نور الدين على بن السلطان محمد الهروي القاري، دار الأقصى، ج١، ص: ٢٦٦.

(٣) الهجر بلغة حمير والعرب العاربة القرية فمنها هجر البحرين وهجر نجران وهجر جازان وهجر حصنة من مخلاف مازن، وهجر مدينة وهي قاعدة البحرين. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي(٣٩٣/٥) وقال ابن حجر في الفتح:(هجر هي بلد معروف من ناحية البحرين) انظر : فتح الباري لابن حجر (٢٠١/١).

(٤) انظر: صحيح مسلم–كتاب الإيمان– باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها،حديث رقم :٥٠١ (١/ ١٢٧).

(٥) انظر: سنن أبي داود–كتاب الأطعمة– باب في أكل اللحم، حديث رقم: ٣٧٨٢ (٣/ ٤١١)صححه الألباني في السلسة الصحيحة .

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد– مسند جابر بن عبدالله رضي الله عنه، حديث رقم: ١٥٢٨١ (٢٣/ ٤١٩) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير نبيح العنزي فقد روى له أصحاب السنن وهو ثقة .

ب) حبه ﷺ الثريد و الحيس:

وَالْمُرَاد مِنْ الثَّرِيد مِنْ الْخُبْز هُوَ الْمُفَتَّت بِمَرَقِ اللَّحْم، وَقَدْ يَكُون مَعَهُ اللَّحْم، وَالثَّرِيد مِنْ الْحَيْس الْخُبْز الْمُفَتَّت فِي التَّمْر وَالْعَسَل وَالْأَقِط وَنَحْوهَا، ذكره شارح سنن أبي داود[١] في شرحه لحديث ابن عَبَّاسٍ ﷺ قالَ: «كَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الثَّرِيدُ مِنَ الْخُبْزِ، وَالثَّرِيدُ مِنَ الْحَيْسِ»[٢].قالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهُوَ ضَعِيفٌ. وقال أهل التحقيق يحسنه حديث عَائِشَةَ ، قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ ؟ فَقُلْتُ : لاَ، قَالَ : فَإِنِّي صَائِمٌ ثُمَّ مَرَّ بِي بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَقَدْ أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ فَخَبَأْتُ لَهُ مِنْهُ ، وَكَانَ يُحِبُّ الْحَيْسَ ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّهُ أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ فَخَبَأْتُ لَكَ مِنْهُ ، قَالَ: أَدْنِيه ، أَمَا إِنِّي قَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنَا صَائِمٌ فَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا مَثَلُ صَوْمِ التَّطَوُّعِ مَثَلُ الرَّجُلِ يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ ، فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا وَإِنْ شَاءَ حَبَسَهَا.[٣].

ج) حبه ﷺ القرع (الدباء):

عن أنسَ بنَ مالكٍ ﷺ يقولُ: «إنَّ خيّاطاً دَعا رسولَ اللهِ ﷺ لطَعامٍ صَنَعهُ، قال أنسُ بنُ مالكٍ فذهَبتُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ إلى ذلكَ الطعامِ، فقرَّبَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ خُبزاً ومَرَقاً فيه دُبّاءٌ وقَديدٌ، فرَأيتُ النبيَّ ﷺ يَتتبَّعُ الدُّبّاءَ من حَوالَيِ القَصعةِ. قال: فلم أزَلْ أُحبُّ الدُّبّاءَ من يومئذٍ»[٤].

د) حبه ﷺ الخَلَّ:

– عن طَلْحَةُ بْنُ نَافِعٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِي، ذَاتَ يَوْمٍ، إِلَىٰ مَنْزِلِهِ. فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ فَلَقاً مِنْ خُبْزٍ. فَقَالَ: «مَا مِنْ أُدُمٍ؟» فَقَالُوا: لاَ. إِلاَّ شَيْءٌ مِنْ خَلٍ. قَالَ: «فَإِنَّ الْخَلَّ نِعْمَ الأُدُمُ»[٥]. قَالَ جَابِرٌ: فَمَا زِلْتُ أُحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ. وَقَالَ طَلْحَةُ: مَا زِلْتُ أُحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ جَابِرٍ. وأورد ابن الجوزي المعنى والحكمة، في كتابه كشف المشكل من حديث الصحيحين بقوله: (يشتمل على معنيين وحكم فالمعنى الأول مدح الخل في نفسه، وله فوائد منها أنه ينفع المعدة ويقمع الصفراء، ويقطع البلغم ويشهي الطعام، إلى غير ذلك من الفوائد. والثاني أنه نبه بذلك على مدح الاقتصاد في المأكل ومنع النفس من ملاذ الطعام؛ فكأنه قال: ائتدموا بما خفت مؤنته وسهل وجوده، فإن من تعود

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط٢، ١٣٨٨هـ ، ج ٩، ص: ٧١١.

(٢) انظر: سنن أبي داود–كتاب الأطعمة– باب في أكل الثريد ، حديث رقم : ٣٧٨٥ (٣/ ٤١٢).

(٣) انظر: سنن النسائي–كتاب الصيام–باب النية في الصيام ، حديث رقم: ٢٣٢١ (٤/ ٥٠٦) حسنه الألباني في إرواء الغليل.

(٤) انظر: صحيح البخاري –كتاب البيوع – باب ذكر الخياط حديث رقم: ٢٠٩٢ (٣/ ٦١) وانظر: صحيح مسلم–كتاب الأشربة– باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين وإيثار أهل المائدة بعضهم بعضا، حديث رقم :٥٤٤٦ (١٢١/٦).

(٥) انظر: صحيح مسلم –كتاب الأشربة– باب فضيلة الخل والتأدم فيه، حديث رقم: ٥٤٧٤ (٦/ ١٢٥).

التأنف في المطعم لم يصبر عنه، وطيب الطعام يحمل على الشبع، وقل أن يسلم تحصيله من شبهة، وأما الحكم فإنه سماه أدما لأنه يصطبغ به، وكل شيء يصطبغ به يلزمه اسم الإدام)[١]

هـ) حبه ﷺ الزبد:

– عَنِ ابْنَيْ بُسْرٍ السُّلَمِيَّيْنِ رضي الله عنهما، قَالاَ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّه. فَوَضَعْنَا تَحْتَهُ قَطِيفَةً لَنَا. صَبَبْنَاهَا لَهُ صَبًّا. فَجَلَسَ عَلَيْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ الْوَحْيَ فِي بَيْتِنَا. وَقَدَّمْنَا لَهُ زُبْداً وَتَمْراً. وَكَانَ يُحِبُّ الزُّبْدَ.[٢].

و) حبه ﷺ الشراب الحلو البارد:

عن عُرْوَةَ عن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: «كانَ أَحَبُّ الشَّرَابِ إلى رَسُولِ الله الحُلْوَ الْبَارِدَ»[٣]. وأورد تحقيق مجمل القول في هذا المباركفوري في تحفة الأحوذي بقوله: (قَالَ الْقَارِي[٤]: وَمَعْنَى أَحَبُّ أَلَذُّ لأَنَّ مَاءَ زَمْزَمَ أَفْضَلُ، وَكَذَا اللَّبَنُ عِنْدَهُ أَحَبُّ كَمَا سَيَأْتِي[٥]، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُرَادَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَعَمِّ فَيَشْمَلَ الْمَاءَ الْقَرَاحَ وَاللَّبَنَ وَالْمَاءَ الْمَخْلُوطَ بِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ كَالْعَسَلِ أَوْ الْمَنْقُوعِ فِيهِ تَمْرٌ أَوْ زَبِيبٌ، وَبِهِ يَحْصُلُ الْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الطِّبِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ اللَّبَنُ. وَمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ السُّنِّيِّ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الطِّبِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: كَانَ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ الْعَسَلُ انْتَهَى كَلَامُ الْقَارِي.

قُلْت: وَقِيلَ الْمُرَادُ بِقَوْلِه أَحَبُّ الشَّرَابِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: أَيْ مِنْ أَحَبِّ الشَّرَابِ أَوْ كَوْنُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَحَبَّ إِلَيْهِ ﷺكَانَ مِنْ جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ. وَحَدِيثُ عَائِشَةَ هَذَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ)[٦]

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ، ج ١، ص: ٧٥٣.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه –كتاب الأطعمة–باب التمر بالزبد، حديث رقم: ٣٣٣٤ (٢/ ١١٠٦)
.صححه الألباني في صحيح ابن ماجة .

(٣) انظر: سنن الترمذي – كتاب الأشربة – باب ما جاء أي الشراب كان أحب إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم: ١٨٩٥ (٤/ ٣٠٧)صححه الألباني .

(٤) علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة ١٠١٤هـ وسكن مكة وتوفي بها.. وصنف كتبا كثيرة، منها " تفسير القرآن " و " الأثمار الجنية في أسماء الحنفية " و " الفصول المهمة " فقه، و " بداية السالك و " شرح مشكاة المصابيح " و " شرح مشكلات الموطأ " و " شرح الشفاء " و " شرح الحصن الحصين " في الحديث، و " شرح الشمائل " و " شرح الأربعين النووية " و " تذكرة الموضوعات " و " كتاب الجمَالَين، حاشية على الجلالين " " شرح قصيدة بدء الأمالي، في التوحيد، و " منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر " ورسالة في " الرد على ابن العربي في كتابه الفصوص وعلى القائلين بالحلول والاتحاد " و " شرح كتاب عين العلم المختصر من الأحياء " و " فتح الأسماع فيما يتعلق السماع، من الكتاب والسنة ونقول الأئمة ".انظر:الأعلام للزركلي (١٢/٥).

(٥) كلام المؤلف المباركفوري يرحمه الله .

(٦) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي علفة، الأردن: بيت الأفكار الدولية، ط ٥، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص: ١٦١٣.

٤) حب أصناف من اللباس:

إن الجمال في حياة العبد المسلم سواء كان في الصورة أو اللباس أو الهيئة؛ فإنه يكون على ثلاثة أوجه، من حيث الحكم الشرعي: منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم، فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله، وتنفيذ أوامره والاستجابة له، كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود ويلبس لباس الحرب وآلته للقتال ويلبس الثوب الحسن . فإن اللباس محمود إذا تضمن طاعة الله، وإظهار نعمته، ونصر دينه وغبط عدوه. والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن تكون هذه غاية العبد منه، وأما ما لا يحمد ولا يذم هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين. وهكذا تقريرات السنة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[١] والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين في حياة الإنسان: الباطن والظاهر، فأوله معرفة حقيقة الشكل والمال، ومدى ارتباط صلاح الظاهر بصلاح الباطن وآخره سلوك؛ حيث يكون التوجيه إلى السلوك العملي الصحيح المرتبط بالباطن النقي، ويعبد المسلم ربه بجمال الشكل والمال ببذل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال والأخلاق.فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك.

ومن محاب النبي ﷺ في اللباس كما ورد في السنة: القميص[٢] والحبرة[٣] من الثياب، عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالَتْ: «كانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى النبي القَمِيصَ»[٤]. وعَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: (أَيُّ الثِّيَابِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَلْبَسَهَا؟ قَالَ الْحَبَرَةُ)[٥]. ووجه ﷺ إلى لبس الأبيض من الثياب،وحرم لبس الذهب والحرير على الرجال، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " الْحَرِيرُ وَالذَّهَبُ، حَلَالٌ لِإِنَاثِ أُمَّتِي، حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِهَا "، وذكر العلامة ابن عثيمين في شرحه (الشرح الممتع على زاد المستقنع): (يجوز لُبْس الحرير إذا كان عَلَماً في ثوب، والعَلَمُ معناه: الخَطُّ يُطرَّز به الثَّوب. وتطريزُ الثَّوب قد يكون من أسفل، وقد يكون في الجَيْب، وقد يكون في الأكمام، وقد يكون ثوباً مفتوحاً فيكون التَّطريز من جوانبه. المهمُّ: إذا كان في الثَّوب عَلَم، أي: خطٌّ من الحرير، فهو جائز لكن بشرط ذكره المؤلِّف في قوله: «أربعُ أصابع فما دونَ»، أي: أن العَلَمَ يكون قدْرَ أربعة أصابع فما دون، والمرادُ

(١) انظر صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب– باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله حديث رقم :٦٧٠٨ (٨/ ١١).

(٢) القميص من قمص: وقمَصَ الفرسُ وغيره يَقْمُص ويَقْمِصُ قَمْصاً وقُماصاً، أي اسْتَنَّ، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ويعجنَ برجليه، والقَميصُ: الذي يُلْبَس. والجمع القُمْصانُ والأقْمِصَةُ. وقَمَّصَهُ قَميصاً فَتَقَمَّصَهُ، أي لبسه. انظر: الصحاح للجوهري (٩٥/٢) وقَمَّص الثوبَ قَطَعَ منه قميصاً. انظر: لسان العرب لابن منظور (٨٢/٧).

(٣) حبرة: وثوبٌ حَبِيرٌ، أي جديد. وأرضٌ مِحْبارٌ: سريعة النبات حسنَتُه. والحَبَرَةُ: بُرْدٌ يمان، والجمع حِبَرٌ وحِبَراتٌ. انظر: الصحاح للجوهري (١١٢/١) والحَبْرَة المبالغة فيما وُصِفَ بجميل، والحبر الناعم. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٥٧/٤).

(٤) انظر: سنن الترمذي– كتاب اللباس– باب ما جاء في القميص، حديث رقم : ١٧٦٢ (٤/ ٢٣٧).

(٥) انظر: صحيح البخاري– كتاب اللباس–باب البرود والحبرة والشملة، حديث رقم : ٥٨١٢ (٧/ ١٤٦).

أصابع إنسان متوسِّط، ومثلُ هذا يُرجع فيه إلى الوسط، ولهذا قال الرَّسول ﷺ: «إيَّاك وكرائمَ أموالهم»، حتى لا تأخذ الأعلى، ولا تأخذ الأدنى أيضاً، فنأخذ بالوسط.فإذا كان العَلَمُ أربعة أصابع في مكان واحد فما دون فهذا لا بأس به؛ لحديث عمر ﷺ: «أنَّه لم يُرخِّصْ في الحرير إلا إذا كان عَلَماً أربع أصابع فما دون»[١]، ولا فرق بين أن يكون عَلَماً مستطيلاً في الثَّوب أو في بُقْعَة منه)[٢]. ومن المعلوم أنَّ الفقهاء يرحمهم الله كرهوا للرجل لبس الثوب المعصفر والمُزَعْفَر كراهة تنزيه، والمُعَصْفر: هو المصبوغ بالعُصْفرُ: والمزعفر المصبوغ بالزَّعفران، ،وهما من المكروه للرِّجال.ودليل ذلك: أنَّ النبيَّ ﷺ رأى على عبد الله بن عمرو بن العاص ثوبين مُعَصْفَرين فنهاه أن يلبسهما وقال: «إنَّ هذه من ثياب الكُفَّار، فلا تَلْبَسْهَا»[٣]قال النووي في شرحه لصحيح مسلم : (واختلف العلماء في الثياب المعصفرة وهي المصبوغة بعصفر فأباحها جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ومالك لكنه قال: غيرها أفضل منها، وفي رواية عنه أنه أجاز لبسها في البيوت وأفنية الدور وكرهه في المحافل والأسواق ونحوها، وقال جماعة من العلماء هو مكروه كراهة تنزيه، وحملوا النهي على هذا لأنه ثبت أن النبي ﷺ لبس حلة حمراء، وفي الصحيحين عن ابن عمر ﷺ قال رأيت النبي صلى الله عليه و سلم يصبغ بالصفرة، وقال الخطابي: النهى منصرف إلى ما صبغ من الثياب بعد النسج، فأما ما صبغ غزله ثم نسج فليس بداخل في النهي، وحمل بعض العلماء النهي هنا على المحرم بالحج أو العمرة ليكون موافقا لحديث ابن عمر ﷺ : نهى المحرم أن يلبس ثوبا مسه ورس أو زعفران)[٤] وكان الصحابة رضي الله عنهم يحبون التأسي بالرسول ﷺ في اللباس، وكان ابن عمر ﷺ يحب الانتعال بالسبتية والصبغ بالصفرة أسوة بالنبي ﷺ، عن عُبَيد بن جُريج أنه قال لعبد الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما: «رأيتكَ تصنَعُ أربعاً لم أرَ أحداً من أصحابك يَصنعها. قال: ما هي ياابن جُرَيج؟ قال: رأيتكَ لا تمسُّ منَ الأركان إلا اليَمانيين، ورأيتكَ تلبَسُ النعالَ السَّبتية[٥]، ورأيتكَ تَصبُغَ بالصُّفرة، ورأيتك إذا كنتَ بمكةَ أهلَّ الناسُ إذا رأَوُا الهلالَ ولم تُهلَّ أنتَ حتى كان يوم التَّرْوية. فقال له عبد الله بن عمر ﷺ: أما الأركانُ فإني لم أرَ رسولَ الله ﷺ يَمسُّ إلا اليمانيين، وأما النعالُ السَّبتية فإني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يلبسُ النعالَ التي ليسَ فيها شَعر وَيتوضأ فيها فأنا أحبُّ أن ألبسها، وأما الصُّفرةَ فإني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَصبُغُ بها فأنا أُحب أن أصبغَ بها، وأما الإهلالُ فإني لم أرَ رسولَ الله ﷺ يُهلُّ حتى

---

(١) انظر: سنن النسائي : كتاب باب الرخصة في لبس الحرير ، حديث رقم :٥٣٢٨ (٨/٥٩٠) انظر: مسند الإمام أحمد – مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم – مسند أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه،حديث رقم: ٢٤٢ (١/٣٦).. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير خلف بن الوليد وهو ثقة .وفي غير هذه الرواية : رخص في الحرير في أصبعين ، عن عمر رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم رخص في الحرير في أصبعين .

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢، ج ٢، ص: ٢٢٣.

(٣) انظر: صحيح مسلم– كتاب اللباس والزينة– باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، حديث رقم: ٥٥٥٥ (٦/ ١٤٣).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج١٤، ص: ٥٤.

(٥) السبتية بكسر المهملة: هي التي لا شعر فيها، مشتقة من السبت وهو الحلق، قاله في التهذيب، وقيل السبت: جلد البقر المدبوغ بالقرظ، وقيل بالسبت، بضم أوله، وهو نبت يدبغ به، قاله صاحب المنتهى وقال الهروي: قيل لها سبتيه لأنها انسبتت بالدباغ أي لانت به، يقال رطبة منسبتة أي: لينه، قوله تصبغ بضم الموحده، وحكي فتحها وكسرها.انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١/ ٢٦٩).

تنبَعثَ به راحلتُه»[١]. ومن أجمل ما قيل في لبسه ﷺ ما عبر عنه ابن القيم يرحمه الله بقوله: (فلبس في كل موطن ما يناسبه)[٢]وهنا يكون الكمال في جمال اللباس.

٥) حب الخيل والزرع:

إن من محاب الإنسان طلب الراحة وزوال العناء، ولعل من أحوج ما يكون الإنسان لها في سيره وسفره، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٣] فإن من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، ما سخره لبني آدم من وسائل نقل تحمله في البر والبحر والجو، فإن هذه المراكب متعة وزينة في الدنيا، وهناء في الآخرة ، عن أَبِي أَيُّوبَ ﷺ، قَالَ: أَتَى النبيَّ أَعْرَابِيٌّ. فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: إِنِّي أُحِبُّ الْخَيْلَ أَفِي الْجَنَّة خَيْلٌ ؟ قالَ رَسُولُ الله: «إِنْ أُدْخِلْتَ الْجَنَّةَ أُتِيتَ بِفَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَة لَهُ جَنَاحَانِ فَحُمِلْتَ عَلَيْه، ثُمَّ طَارَ بكَ حَيْثُ شئْتَ»[٤].

وعن أبي قَتَادَةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «خَيْرُ الْخَيْلِ[٥] الأَدْهَمُ الأَقْرَحِ الأَرْثَم[٦]ثم الأَقْرَحُ الْمُحَجَّلُ طلقُ اليَمينِ، فإنْ لَمْ يَكُنْ أدْهَمَ فَكَمَيْتٌ على هذه الشِّيَة»[٧].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالكٍ ﷺ، قَالَ: «لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ بَعْدَ النِّسَاء منَ الْخَيْلِ»[٨]. وقد ضعف العلماء هذا الحديث ، وذكرت الخيل في القرآن في مواضع القوة والعزة والعبرة، وأقسم بها رب العزة والجلال في سورة العاديات، وكذا فإن من الأنبياء من أحب الخيل ،قال الله تعالى: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ

(١) انظر: صحيح البخاري–كتاب الوضوء– باب غسل الرجلين في النعلين ولا يمسح على النعلين، حديث رقم: ١٦٦ (١/ ٤٤)، وانظر صحيح مسلم–كتاب الحج–باب الإهلال من حيث تنبعث الراحلة حديث رقم: ٢٨٧٥ (٤/ ٩).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج١، ص: ١٣٦.

(٣) سورة النحل: ٨.

(٤) انظر: سنن الترمذي–كتاب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ –باب ما جاء في صفة خيل الجنة، حديث رقم: ٢٥٤٤ (٤/ ٦٨٢)صححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب .

(٥) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي علفة، الأردن: بيت الأفكار الدولية، ط ٥، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص: ١٤٩٥ .وهنا في التحفة وردت أوصاف خير الخيل ومعانيها الواردة في الحديث، (الأدهم: شديد السواد) – (الأقرح: في جبهته بياض كالقرحة) – (الأرثم: أبيض الشفة العليا) – (المحجل: بياض في الأرجل فوق الأرساغ دون الركبتين) – (طلق اليمين: غيرمحجل اليمين) – (الكميت: لون حمرة في سواد) – (الشية: العلامة).

(٦) (رثم) الراء والثاء والميم أُصَيْلٌ يدلُّ على لَطْخ شيءٍ بشيء. يقال: رثَمَت المرأة أنْفَها بالطِّيب: طَلَتْه. قال:شَمّاءَ مارِنُها بالمِسك مَرْثُومُ، ومن هذا الباب: رُثِم أنفُه، وذلك إذا ضُرِب حتَّى يسيل دمُه. ومن الباب الرَّثَم : بياضٌ في جَحْفلة الفَرَس العُلْيا. وهي الرُّثْمَة.انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس(٢/٤٨٨).

(٧) انظر : سنن الترمذي – كتاب الجهاد عن رسول الله ﷺ– باب ما جاء ما يستحب من الخيل ، حديث رقم : ١٦٩٦ (٤/ ٢٠٣) صححه الألباني وقال الحاكم :"صحيح على شرط الشيخين "، ووافقه الذهبي .

(٨) انظر : سنن النسائي – كتاب الخيل – باب حب الخيل ، حديث رقم : ٤٣٨٩ (٤/ ٣١٣) وضعفه الألباني .

تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)[١] وقد فسر الخير هنا بالخيل لأنها هي مقصود الحب، بما عرض منها على نبي الله سليمان عليه السلام ، وذكر الشيخ السعدي في تفسيره مجمل ما قاله أهل التفسير فيها، قال: (لما أثنى تعالى على داود، وذكر ما جرى له ومنه، أثنى على ابنه سليمان عليهما السلام فقال: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ} أي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه.{نِعْمَ الْعَبْدُ} سليمان عليه السلام، فإنه اتصف بما يوجب المدح، وهو {إِنَّهُ أَوَّابٌ} أي: رجَّاع إلى اللّه في جميع أحواله، بالتأله والإنابة، والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاة اللّه، وتقديمها على كل شيء.

ولهذا، لما عرضت عليه الخيل الجياد السبق الصافنات أي: التي من وصفها الصفون، وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف، وكان لها منظر رائق، وجمال معجب، خصوصا للمحتاج إليها كالملوك، فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب، فألهته عن صلاة المساء وذكره. فقال ندما على ما مضى منه، وتقربا إلى اللّه بما ألهاه عن ذكره، وتقديما لحب اللّه على حب غيره: {إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ} وضمن {أحببت} معنى {آثرت} أي: آثرت حب الخير، الذي هو المال عموما، وفي هذا الموضع المراد الخيل {عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ}

{رُدُّوهَا عَلَيَّ} فردوها {فَطَفِقَ} فيها {مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأعْنَاقِ} أي: جعل يعقرها بسيفه، في سوقها وأعناقها)[٢] لانشغاله عن ذكر الله بها.واختلف أهل التأويل في معنى المسح وما اختاره الشيخ السعدي هنا هو من قول قتادة والحسن والسدي، أما قول ابن عباس رضي الله عنهما: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبا لها، تتريها لنبي الله سليمان عليه السلام من تعذيب الحيوان بعقره وضربه، والله أعلم. وتلت هذه الوسائل المخلوقة وسائل مصنعة، لا يعلم مداها إلا الله من السفن والقطارات والطائرات وصواريخ الفضاء، حيث علم سبحانه الإنسان ما لم يعلم، وهذه الوسائل متغيرة من زمن إلى زمن، متطورة في قدرتها وأشكالها، ومن تتبع رغبات الناس فيها يجدها في اختيار الأحسن والأسرع والأجمل والآمن، وقد ميزت السنة من هذه الوسائل الخيل بسمة الخير إلى يوم القيامة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[٣]وخصها أهل الفقه بالخيل المعدة للجهاد في سبيل الله دون غيره،ا ففيها الأجر والمغنم ونعيم الآخرة، وهي وسيلة للجهاد في سبيل الله حتى قبيل يوم القيامة، قال ابن بطال: (قال بعض أهل العلم: معناه الحث على ارتباط الخيل في سبيل الله يريد أن من ارتبطها كان له ثواب ذلك فهو خير آجل، وما يصيب على ظهرها من الغنائم وفى بطونها من النتاج خير عاجل،

---

(١) سورة ص: ٣٠- ٣١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٧١٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجهاد والسير-باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، حديث رقم: ٢٨٤٨ (٤/ ٢٨) و انظر: صحيح مسلم-كتاب الزكاة-باب إثم مانع الزكاة، حديث رقم: ٢٣٣٩ (٣/ ٧٠).

وخص النواصي بالذكر؛ لأن العرب تقول: فلان مبارك الناصية، فيكنى بها عن الإنسان. وقال المهلب: استدلال البخاري صحيح أن الجهاد ماض مع البر والفاجر إلى يوم القيامة. من أجل أنه أبقى ﷺ الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة. وقد علم أن من أئمته أئمة جور لا يعدلون، ويستأثرون بالمغانم، فأوجب هذا الحديث الغزو معهم)[١].

كما أن طلب الرزق من رغبات الإنسان الذاتية، التي تجبره عليها ضرورة الحياة الملحة لسد حاجاته، فاشتغل لذلك ومن أبرز المهن التي مارسها الإنسان في ذلك الزراعة، وعليها قامت حضارات الأمم حيث هي سبب في الاستيطان والاستقرار، ومن حب الإنسان لها جاءت من ممثلات الوصف في القرآن والسنة لنعيم الجنة من الزرع والفواكه والثمار والأنهار، عن أَبُي هُرَيْرَةَ: ﷺ (أَنَّ النَّبِي، عليه السلام، كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: (أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، قَالَ: فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ، عز وجل: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ)، فَقَالَ الأَعْرَابِي: وَاللَّهِ لاَ نَجِدُهُ إِلاَ قُرَشِيًّا، أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ النَّبِي ﷺ)[٢]. ومن هدي الكتاب والسنة في محبة الخيل والزرع الدروس الكثيرة ومنها: أن المراكب والمهن، ومن أهمها الزراعة، من الحاجات الضرورية في حياة الناس. وهي من مصادر القوة الاقتصادية، وقد أمر الإسلام بإعداد القوة ومنها رباط الخيل، ولا زكاة في الخيل إلا ما أعد للتجارة على حد قول الفقهاء.وللخيل مكانة عظيمة منذ القدم كوسيلة نقل وسبق وفخر.وإن الخيل العربي تميز بأصالته على سائر أنواع الخيول بماله من قوة ومهارة ، وقد وردت الآثار بالحث على الفروسية وتربية الخيل والعناية به، و أجمع العلماء على جواز السباق بالخيل ، وأن الله سخر الدواب والأنعام، وأنواع المراكب وأصناف الزروع والثمار لبني آدم؛ لسد حاجته والقيام بعبادة ربه. ومن أجل تحقيق هذه الغاية، وجب على الإنسان أن يعرف أن لكل وسيلة نقل وكل مهنة أصولا وأسسا تقوم عليها ، يجب إتقانها.ومحبة المهن والأعمال مرتبطة بمحبة الحياة ، ومحبة الحياة مرتبطة بمحبة العبادة والذكر لله تعالى،وطلب الرزق واجب على كل قادر، وهو من الأمور الشرعية التي حث عليها الشرع قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[٣] وقد عمل الأنبياء عليهم السلام، وهم أفضل الناس، رعوا الغنم وزرعوا وسقوا وأكلوا وشربوا .والله يرزق من يشاء بغير حساب .

---

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج٥، ص: ٥٧

(٢) انظر: صحيح البخاري–كتاب التوحيد–باب كلام الرب مع أهل الجنة، حديث رقم: ٢٣٤٨ (٣/ ١٠٨)

(٣) سورة الملك : ١٥.

ب) محبة إشفاق ورحمة وعطف:

إن محبة الإشفاق الرحمة والعطف لها صور عديدة في الحياة، ومن أعظمها :حب الولد للوالدين وحب الوالدين للولد، فإن حب الوالدين للولد حب فطري غرزي، وحيث تنطلق المحبة من الشفقة والرحمة والعطف؛ فإن الوالدين أشد حرصا على أولادهم، وقد يتجاوز هذا الحب أنفسهم، ويلحظ هذا في سبيل العناية بالأولاد حال السلامة والمرض، من التربية والتغذية في الصغر، وصلاح الحال في الكبر، وقد جاء الإسلام بأعظم المبادئ في بر الوالدين ورعاية الوالد للولد، قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾[1] الإحسان إلى الوالدين ليس لها وجه حصر في القول أو الفعل؛ لأنه لا يمكن حصر الرحمة والحب والبذل اللواتي قدمها الوالدان للولد، بدءا من سبب الوجود ومطعم وملبس ومسكن وتتطبيب، ولوعة الفراق وحسرة الفقد؛ فالبر بهما من أعظم الصالحات، والعقوق بهما من أعظم المهلكات، وشفقة الوالدين على الولد من أعظم العلاقات بين المخلوقات، وفي هذا من القصص والعبر وأوامر الشرع ما يضيق به التفصيل هنا، بيد أن السنة المطهرة في بيان لفظ الحب والتعامل به، أغنى عن أي تفصيل، وأذكر منها موقفا واحدا من المواقف الكثيرة: عن أبي هريرةَ الدَّوسيِّ ﷺ قال: «خرَجَ النبيُّ ﷺ في طائفة النهارِ لايُكلِّمُني ولا أُكَلِّمهُ، حتّى أتى سُوقَ بني قَينُقاعَ، فجلَسَ بفناءِ بيتِ فاطمةَ فقال: أثَمَّ لُكَعُ[2]، أثَمَّ لُكَعُ؟ فحبَسَتْهُ شيئاً، فظَنَنْتُ أنها تُلبِسُهُ سِخاباً[3] أو تُغَسِّلُهُ، فجاءَ يَشتَدُّ حتّى عانَقَهُ وقَبَّلَهُ وقال: اللّهمَّ أحبَّه وأحبَّ من يُحبُّه.[4]. قال ابن حجر في الفتح: (وفي الحديث بيان ما كان الصحابة عليه من توقير النبي ﷺ والمشي معه، وما كان عليه من التواضع من الدخول في السوق والجلوس بفناء الدار.

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣ - ٣٦.

(٢) لكع: لَكَعَ عليه الوسخ لَكْعاً، إذا لصق به ولزمه. ورجلٌ لُكَعٌ، أي لئيمٌ، ويقال هو العبد الذليل النفس.انظر: الصحاح للجوهري (١٤٧/٢).واللَّكْعُ النَّهْزُ في الرَّضاعِ، ولَكَعَ الرجُلُ الشاةَ إذا نَهَزَها ونَكَعَها، إذا فعل بها ذلك عند حَلْبِها، وهو أَن يَضْرِبَ ضَرْعَها لِتدِرَّ، واللُّكَعُ المُهْرُ والجَحْشُ والأُنثى بالهاء، ويقال للصبيِّ الصغير أَيضاً لُكَعٌ، قال ابن الأَثير: فإِن أُطلق على الكبير أُريد به الصغير العِلم والعقْلِ، انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٢٢/٨).

(٣) سخابا من (سخب) السين والخاء والباء كلمةٌ لا يقاس عليها. يقولون:السِّخاب: قِلاَدَةٌ من قَرنفُلٍ أو غيره، وليس فيها من الجواهر شيء، والجمع سُخُب. انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٧/٣).

(٤) انظر: صحيح البخاري–كتاب البيوع– باب ماجاء في ذكر السوق، حديث رقم: ٢١٢٢ (٣/ ٦٦) وانظر: صحيح مسلم–كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم– باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما، حديث رقم: ٦٤١ (٧/ ١٢٩).

ورحمة الصغير والمزاح معه، ومعانقته وتقبيله ومنقبة للحسن بن علي)[١]وعن أبي رافع ﷺ أنه قال: (كنت في بعث مرة، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذْهَبْ فَائْتِنِي بِمَيْمُونَةَ» فقلت: يا نبيّ الله إني في البعث، فقال رسول الله ﷺ: «أَلَسْتَ تحبُّ ما أُحِبُّ ؟» قلت : بلى يا رسول الله، قال: «اذْهَبْ فَائتِنِي بِهَا» فذهبت فجئته بها)[٢]. هي ميمونة بن زينب بنته ﷺ رضي الله عنها، يبادر في طلبها لحبها، ويغرس ذلك الحب في نفوس أمته لها رضي الله عنها. وعَن يَعْلَى بنِ مُرَّةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الأسْبَاطِ»[٣]. لقد حاز الحسن والحسين مبلغا عظيما من التمجيد والذكر الحميد على لسان نبينا ﷺ ما جاد بالقلوب المخلصة لهما حبا، واشتاقت نفوس المسلمين الأخيار شبان وشيبا لرفقتهما في الجنة، هما ريحانتاه ﷺ من الدنيا وسيدا شباب أهل الجنة، والحب الحقيقي لهما حب اتباع واقتداء، وعطف وولاء، وهي السنَّة المرضية عند رب البرية، وأمر بها رسوله ﷺ، لا حب لطم وثأر، وعويل ودماء وبكاء، فإنها مشاهد البدعة في العداء والبناء، وطريق الشيطان في الافتتان والفتنة.

لقد بلغ النبي ﷺ بالأطفال غاية العناية، في التأديب بتعليم العبادة والعلم، والممارسة الصحيحة للأكل والشرب واللعب، يُقَبِّلُهم ويُلَقِّبُهم ويُمازحهم، ويحملهم ويبكي على فقدهم ويلوم الجافي لهم، فمن أقواله فيمن جفاهم (من لا يرحم لا يرحم)[٤]

ومن روائع القصص في فداء الأم ابنها حبا وشفقة، ما رواه البخاري في الجامع الصحيح، عن ابن عباسٍ ﷺقال: «إنَّ أوَّلَ قَسامةٍ كانت في الجاهلية لَفينا بني هاشم: كان رجلٌ من بني هاشم استأجرَهُ رجلٌ من قُريشٍ من فَخذٍ أخرى، فانطَلَق معهُ في إبلِه، فمرَّ به رجلٌ من بني هاشم قد انقطَعَتْ عُروةُ جُوالقِه[٥]. فقال: أغْثِني بعِقالٍ أشُدُّ به عُروةَ جُوالقي لا تَنفِرِ الإبلُ، فأعطاهُ عِقالاً فشدَّ به عروةَ جُوالقِه.فلما نزَلوا

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ٤، ص: ٣٤٢.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد– من مسند القبائل – حديث أبي رافع ﷺ، حديث رقم : ٢٧١٨٥ (١٦٥/٤٥) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده صحيح إن صح سماع الحسن بن علي بن أبي رافع من جده أبي رافع .

(٣) انظر: سنن الترمذي–كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ– باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، حديث رقم: ٣٧٧٥ (٥/ ٦٥٨) وحسنه الألباني . وانظر: سنن ابن ماجه–كتاب المقدمة–باب فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٤٤ (١/ ٥١) وانظر: مسند الإمام أحمد–مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧٥٦١ (٢٩/ ١٠٢) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده ضعيف لجهالة سعيد بن أبي راشد .

(٤) انظر: صحيح البخاري–كتاب الأدب–باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: ٥٩٩٧ (٨/ ٧) وانظر: صحيح مسلم –كتاب الفضائل– باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم: ٦١٧٠ (٧/ ٧٧).

(٥) الجُوالِقُ و الجُوالَق بكسر اللام وفتحها الأخيرة عن ابن الأَعرابي وعاء من الأَوعية معروف معرّب. انظر: لسان العرب لابن منظور: (١٠/ ٣٦).

عُقلَتِ الإبلُ إلاّ بعيراً واحداً، فقال الذي استأجرهُ: ما شأنُ هذا البعير لم يُعقَلْ من بين الإبل؟ قال: ليس له عقال. قال: فأين عِقالُه؟ قال: فحذَفَهُ بعصاً كان فيها أجله. فمرَّ به رجلٌ من أهلِ اليمن، فقال: أتشهدُ الموسم؟ قال: ما أشهدُ وربَّما شهدتهُ. قال: هل أنت مُبْلِغٌ عني رسالةً مرةً منَ الدهر؟ قال: نعم. قال فكتب: إذا أنتَ شهدتَ الموسم فناد يا آل قريش، فإذا أجابوك فناد يا آل بني هاشم، فإن أجابوك فاسأل عن أبي طالب فأخبرْه أنَّ فلاناً قَتَلني في عقال. ومات المستأجر. فلما قدمَ الذي استأجَرَه أتاهُ أبو طالبٍ فقال: ما فعلَ صاحبُنا؟ قال: مرضَ فأحسنتُ القيامَ عليه، فوَليتُ دَفنَه. قال: قد كان أهلَ ذاك منك. فمكَث حيناً ثمَّ إن الرجُلَ الذي أوصى إليه أن يُبلغَ عنه وافى الموسمَ فقال: يا آل قريش، قالوا: هذه قريش. قال يا بني هاشم، قالوا: هذه بنو هاشم. قال: أين أبو طالب؟ قالوا: هذا أبو طالب. قال: أمرَني فلان أن أبلغَك رسالةً أنَّ فلاناً قتلهُ في عقال. فأتاهُ أبو طالب فقال له: اخترْ منّا إحدى ثلاث: إن شئت أن تؤدِّي مائةً من الإبل فإنكَ قتلتَ صاحبنَا، وإن شئتَ حلف خمسون من قومك إنك لم تقتُلْه، وإن أبيت قتلناك به. فأتى قومهُ فقالوا نحلفُ.فأتته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجلٍ منهم قد وَلَدَت له فقالت: يا أبا طالب أحبُّ أن تُجيزَ ابني هذا برجُل من الخمسين ولا تُصبرْ يمينَهُ حيثُ تُصبَرُ الأيمان، ففعل. فأتاهُ رجلٌ منهم فقال: يا أبا طالب أردتَ خمسينَ رجلاً أن يَحلفوا مكان مائة منَ الإبل، يصيبُ كلَّ رجلٍ بَعيران، هذانِ بعيران فاقبلْهما مني ولا تصبرْ يَميني حيث تُصبَرُ الأيمان، فقبلهما. وجاء ثمانيةٌ وأربعون فحلفوا. قال ابنُ عبّاس: فوَ الذي نفسي بيده ما حال الحولُ ومن الثمانية وأربعينَ عينٌ تَطرِف»(١).

الوالد باب إلى الجنة، والجنة تحت أقدام الأمهات، وواجب الأبناء البر بهما، وبذل المعروف لهما والإحسان إليهما.والأولاد للوالدين ثمرات الفؤاد، عون في الدنيا، ووصل عمل بعد انقطاعه لمن صلح منهم، فمن احتسب الأجر وصبر عند الفقد؛ فإنهم حجاب من النار، و فُتَّاح لأبواب الجنة،عن مُعَاوِيَةَ بْنَ قُرَّةَ عَنْ أَبِيه، قَالَ: «كَانَ نَبِيُّ اللَّه ﷺ إِذَا جَلَسَ يَجْلسُ إِلَيْه نَفَرٌ منْ أَصْحَابه، وَفيهمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغيرٌ يَأْتيه منْ خَلْف ظَهْرِه فَيُقْعدُهُ بَيْنَ يَدَيْه، فَهَلَكَ، فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ؛ لذكْرِ ابْنه فَحَزنَ عَلَيْه، فَفَقَدَهُ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا لي لاَ أَرَى فُلاَناً؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه بُنَيَّهُ الَّذي رَأَيْتَهُ هَلَكَ. فَلَقيَهُ النَّبيُّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ بُنَيِّه فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْه ثُمَّ قَالَ: يَا فُلاَنُ أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ به عُمْرَكَ أَوْ لاَ تَأْتي غَداً إلى بَابٍ منْ أَبْوَاب الْجَنَّة إلاَّ وَجَدْتَه قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْه يَفْتَحُهُ لَكَ قَالَ: يَا نَبيَّ اللَّه بَلْ يَسْبقُني إِلَى بَاب الْجَنَّة فَيَفْتَحُهَا لي لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: فَذَاكَ لَكَ»(٢). فمن أجل المطامع أبقاها وأزكاها، والآخرة خير وأبقى فهي الأجلّ، فمن حب الإنسان لنفسه أن يظفر بذلك برحمته أولاده حال الحياة أو الممات، عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما، فقالوا: يا رسول

---

(١) انظر: صحيح البخاري–كتاب مناقب الأنصار–باب القسامة في الجاهلية، حديث رقم : ٣٨٤٥ (٥/ ٤٣).

(٢) انظر: سنن النسائي–كتاب الجنائز– باب في التعزية، حديث رقم : ٢٠٨٧ (٤/ ٤٢٣) وصححه الألباني.

الله أو اثنان قال: أو اثنان، قالوا: أو واحد ، قال: أو واحد، ثم قال: والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته)[١]. وعن أبي ثعلبة الأشجعي ﷺ ، قال: قلت: مات لي يا رسول الله ولدان في الإسلام، فقال: «مَنْ ماتَ لَهُ وَلَدانِ في الإسْلامِ أَدْخَلَهُ الله ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِه إيّاهُما» قال: فلما كان بعد ذلك لقيني أبو هريرة ﷺ ، قال: فقال: أنت الذي قال له رسول الله ﷺ في الولدين ما قال؟ قلت: نعم. فقال: (لئن قاله لي أحب إليّ مما غُلِّقَتْ عليه حمص وفلسطين)[٢]. وهذا الحديث ضعفه الألباني ،ولكن يتوافق معناه مع مارواه البخاري في صحيحه ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاَثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِه إِيَّاهُمْ)[٣].وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ أَنَّ النِّسَاءَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ اجْعَلْ لَنَا يَوْمًا فَوَعَظَهُنَّ وَقَالَ:(أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ قَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ، قَالَ: وَاثْنَانِ)[٤]

ج) محبة ألفة وعشرة وأنس: ومنها:

١) حب الوطن وحب مكة والمدينة:

من منطلق الحب الذي يملأ جوانب النفس البشرية، فإن حب الوطن من الأمور الفطرية التي جبل عليها الإنسان، فإنه يشعر بالحنين الصادق لوطنه فور مغادرته، لأن به علائق الطفولة، نشأ على أرضه وبه شب، ترعرع بين جنباته، وأكل وشرب من خيراته، ومن أصدق القول في حب الوطن ما ورد عن النبي ﷺ، مخاطبا مكة بلده وأحب البقاع إليه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك، ما سكنت غيرك)[٥]. وفي حق المدينة وحب النبي ﷺ لها، عَنْ أَنَسٍ ﷺأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ (كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا)[٦].قال ابن بطال: ((قوله: (من حبها) يعنى لأنها وطنه، وفيها أهله وولده الذين هم أحب الناس إليه، وقد جبل الله النفوس على حب الأوطان والحنين إليها، وفعل ذلك عليه السلام، وفيه أكرم الأسوة، وأمر أمته سرعة الرجوع إلى أهلهم عند انقضاء أسفارهم)[٧] فإن الوطن لفظ تحييه القلوب بما تحمله من

(١) انظر: سنن ابن ماجه –كتاب الجنائز–باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده، حديث رقم: ١٦٠٩(٣/ ١٨١) وحسنه الألباني . وانظر مسند الإمام أحمد–مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢٠٩٠ (٣٦/٤١٠). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: صحيح لغيره .

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد– من مسند القبائل حديث أبي ثعلبة الأشجعي ﷺ، حديث رقم : ٢٧٢٢٠ (٤٥/ ١٩٤) وضعفه الألباني .

(٣) انظر: صحيح البخاري –كتاب الجنائز – باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، حديث رقم: ١٢٤٨ (٢/ ٧٣).

(٤) انظر: صحيح البخاري –كتاب الجنائز – باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، حديث رقم: ١٢٤٩ (٢/ ٧٣)

(٥) انظر: سنن الترمذي–كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ –باب في فضل مكة، حديث رقم: ٣٩٢٦ (٥/ ٧٢٣)

(٦) انظر: صحيح البخاري – كتاب فضائل المدينة ، حديث رقم: ١٨٨٦ (٣/ ٢٣)

(٧) شرح صحيح البخاري ــ لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط ٢ ، ١٤٢٣هـ ، ج ٤ ، ص : ٤٥٣ .

مشاعر، وتحركه الذكريات، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: لما قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ وُعِكَ أبو بكرٍ وبلالٌ، فكان أبو بكرٍ إذا أخَذَتْهُ الحُمّى يقول:

كُلُّ امرىءٍ مُصبَّح في أهلهِ   والموتُ أدنىٰ من شِراكِ نَعْلــهِ

وكان بلالٌ إذا أُقْلِعَ عنه الحمّى يَرفَعُ عَقيرتَهُ يقول:

ألا ليت شِعري هل أبيتَنَّ ليلةً   بــوادٍ وحـــَولي إذخرٌ وجَليلُ(١)

وهَل أرِدَنْ يومـــاً مِياهَ مجَنَّة(٢)   وهل يَبْدُوَنْ لي شــامة وطَفيلُ(٣)

وقال: اللّهمَّ العَنْ شَيبةَ بنَ رَبيعةَ وعُتبةَ بنَ رَبيعةَ وأُميَّةَ بنَ خَلَفٍ، كما أخرَجونا من أرضِنا إلى أرضِ الوَباءِ. ثُمَّ قال رسولُ اللهِﷺ: «اللّهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ. اللّهمَّ باركْ بنا في صـــاعِنا وفي مُـــدِّنا، وصَحِّحْها لنا، وانقُلْ حُمّاها إلى الجُحْفةِ. قالت: وقَدِمْنا المدينةَ وهيَ أوبأُ أرضِ الله، قالت: فكان بُطحـــانُ يَجري نَجْلاً. تَعني ماءً آجنا»(٤).

مكة والمدينة لهما المكانة العلياء والمقام العظيم في سيرة النبي ﷺ، التي قام عليها أمر الإسلام، ولهما في نفسه ﷺ حب عميق انتقل إلى نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أعرضه من وجوه:

الوجه الأول: مكة مستقر هاجر وإسماعيل عليهما السلام وفيها الكعبة بيت الله، إذ أذَّن بالحج إليه إبراهيم عليه السلام ، بأمر من الله تعالى وهوت إليه الأفئدة من أقطار الأرض.ولد فيها النبي ﷺ ومهبط الـــوحي، وانطلقت منها دعوته إلى التوحيد ورسالة الله الخاتمة، مكث فيها ثلاث عشرة سنة، أخرج منـــها عـــداوة لدعوته، وعاد إليها ﷺ في السنة الثامنة من الهجرة فاتحا منتصرا، محققا للتوحيد، رافعا فيها الأذان، محطما للشرك وأصنامه، وطامسا لهويته.

الوجه الثاني: المدينة مهاجر النبي ﷺ وفيها قبره، وهي دار نصرته، انطلق منها الجهاد لحمايـــة الـــدعوة، وانتشر منها الإسلام، مكث فيها ﷺ عشر سنين يدعو إلى الله، وهي مأرز الإيمان. وفيها مات ﷺ ودفن في بيته، وفيها مسجده ﷺ ومآثر الدعوة في عهده والخلفاء الراشدين من بعده.

---

(١) الإذخر: نبت وحشيش طيب الريح. وجليل: نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت. الإذْخرُ: نبتُ، الواحدة إذْخرَةٌ. انظـــر: الـــصحاح للجوهري (٢٢٤/١). والإذْخرُ حشيش طيب الريح، وهي شجرة صغيرة انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٠٢/٤)

(٢) مياه مجنة: مجنة، اسم موضع على أميال من مكة وكان به سوق في الجاهلية.ذكره بدر الدين العيني في عمدة القاري. والجنـــة: البـــستان، ومنه الجنات.والعرب تسمى النخيل جنة.انظر: الصحاح للجوهري (٢٠٩٤/٥)، الجنة من الاجْتنان وهو السَّتْر لتَكاثُفِ أَشْجارِها وتظليلـــها بالتفاف أَغصانها،والجَنَّةُ الحَديقةُ ذات الشجر والنخل.انظر: لسان العرب لابن منظور (٩٢/١٣)

(٣) شامة وطفيل: هما جبلان عند الجمهور وصوَّب الخطابي ذلك بأنهما عينان، ذكره ابن حجر في الفتح.

(٤) انظر: صحيح البخاري – كتاب مناقب الأنصار – باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، حديث رقم : ١٨٨٩ (٢٣/٣)

الوجه الثالث: لقد بوب أصحاب الحديث والفقه والتاريخ من المصنفين أبوابا في فضائل مكة والمدينة، يتبين لمن فقه أمر الدين على الحقيقة أنهما من الأسس المكانية لهذا الدين، وأنهما وطن النبي ﷺ، والوطن الإيماني لكل مسلم؛ فهما مهوى شوق المسلمين ومحل حب لهذا الدين، نالا من الشرف والخدمة عبر تاريخ الإسلام ما لم ينله غيرهما، وفي هذا الزمن الذي قامت فيه دولة التوحيد–المملكة العربية السعودية – على رسم السلف الصالح عقيدة ومنهجا؛ تبعا لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ،جُعل رابطُ الوطن فيها يقوم على الدين والأرض والتاريخ؛ فأصبح الانتماء إليها أوثق، والتضحية فيها أقوى، ونرى من سنته ﷺ في حبه لهذه البلاد ما يوثق الصلة بين الصحابة رضي الله عنهم وأرضهم وجبالهم وثمارهم ودورهم ليضرب مثلا أعلى في حب الوطن والشوق إليه، عن أبي حُميد الساعديِّ ﷺ قال « غَزَونا معَ النبيِّ ﷺ غزوةَ تَبُوكَ، فلما جاءَ وادي القُرى إذا امرأة في حَديقةٍ لها، فقال النبيُّ ﷺ لأصحابه: اخْرُصوا، وخَرَصَ رسولُ اللّه ﷺ عشرةَ أوسُقٍ، فقال لها: أحصِي ما يخرُجُ منها. فلما أتينا تبوكَ قال: أما إنَّها ستَهُبُّ الليلةَ ريحٌ شديدةٌ، فلا يقومَنَّ أحدٌ، ومن كان مَعَهُ بَعيرٌ فلْيعقِلْهُ، فعقَلْناها، وهبَّتْ ريحٌ شديدةٌ فقام رجلٌ فألقَتْهُ بجَبَلِ طيىء. وأهدَى ملكُ أيْلةَ للنبيِّ ﷺ بغلةً بيضاءَ، وكساهُ بُرْداً، وكتبَ له ببحرِهم. فلما أتى واديَ القُرى، قال للمرأة:كم جاءَتْ حَديقتُك؟ قالت: عشرةَ أوسُقٍ، خَرْصَ رسولِ اللّه ﷺ فقال النبيُّ ﷺ: إني مُتعَجِّلٌ إلى المدينة، فَمَن أرادَ منكم أن يتعجَّلَ معي فلْيتعجَّلْ. فلما – قال ابنُ بَكَّارٍ[1] كلمةً معناها –أشْرَفَ على المدينة قال: هذه طابةُ، فلما رأى أُحُداً قال: هذا جُبَيلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه. ألا أُخبرُكم بخَير دُورِ الأنصارِ؟ قالوا: بلى. قال: دُورُ بني النجَّار، ثمَّ دُورُ بني عبدِ الأشهَلِ، ثمَّ دُورُ بني ساعدةَ أو دُورُ بني الحارثِ بنِ الخَزرَجِ، وفي كلِّ دُورِ الأنصار يَعني خيراً»[2]. قال ابن حجر: (أنه قال ذلك للمسرة بلسان الحال إذا قدم من سفر لقربه من أهله ولقياهم وذلك فعل من يحب بمن يحب)[3] وبين أيضا أن الحب لجبل أحد هنا أتى من الجانبين على حقيقته وظاهره لكون أحد من جبال الجنة.

والمحبة العظمى للوطن تنطلق من قداسة المكان حينما يكون له تفضيل من الله الذي خلق الأرض وفضل بعضها على بعض، كتفضيل الله لمكة والمدينة والقدس وجعلها مبتغى الأنبياء قال الله تعالى في حق إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾[4] ولذا أحب موسى عليه السلام أن يدفن في الأرض المقدسة، بوب البخاري: باب مَن أحبَّ الدَّفنَ في الأرضِ المقدسةِ أو نحوِها وأورد فيه: عن أبي

(١) سهل بن بكار بن بشر الدارمي البصري، أحد رواة السند في هذا الحديث .

(٢) انظر: صحيح البخاري–كتاب الزكاة – باب خرص التمر، حديث رقم: ١٤٨١ (٢/ ١٢٥)

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ٧، ص: ٣٧٨.

(٤) سورة الأنبياء: ٧١.

هريرة ﷺ قال « أُرسلَ مَلَكُ المَوت إلى موسى عليهما السلامُ، فلمَّا جاءَهُ صَكَّهُ، فرجَعَ إلى ربِّه، فقالَ: أرسلْتَني إلى عبدٍ لا يُريدُ المَوتَ. فرَدَّ اللهُ عليه عَينَه. وقال: ارجعْ فَقُلْ لهُ يَضَعُ يدَهُ على مَتنِ ثَورٍ، فلهُ بكلِّ ما غَطتْ به يدُهُ بكلِّ شعرةٍ سنةٌ. قال: أي ربِّ، ثمَّ ماذا؟ قال: ثمَّ الموتُ. قال فالآن. فسألَ اللهَ أن يُدنيَهُ منَ الأرض المقدَّسة رميةً بحجَرٍ. قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ فلو كنتُ ثَمَّ، لأريتُكم قبرَهُ إلى جانبِ الطريق عند الكثيب الأحمر»[١]وكذا نبينا محمد ﷺ دعا للمدينة بالبركة وأحب أن يدفن فيها فدفن في المكان الذي أحبه،عن عَائشَةَ رضي الله عنها، قالَتْ: «لَمَّا قُبِضَ رسُولُ الله اخْتَلَفُوا في دَفْنه، فقالَ أبوُ بَكْرٍ سَمِعْتُ منْ رَسولِ الله شَيئاً مَا نَسيتُهُ قالَ: « مَا قَبَضَ الله نَبياً إلاَّ في الموضعِ الذي يُحبُّ أَنْ يُدْفَنَ فيه، ادَفنُوهُ في مَوْضعِ فِرَاشه »[٢].

٢) محبة الرجل لنسائه وأهله وقومه ونسبه:

إن مما يقرره الشرع اعتبار الوجود للموجود، فإن وجود الإنسان في بيئة اجتماعية، مع ما منحه الله من خصائص وصفات في طبيعة خلقه، كان أمرا فطريا أن يسعى لتحصيل ما يحقق له الألفة والأنس من الزواج لقضاء وطره وإشباع رغبته والاستمتاع بشهوته، ومن معاشرة قومه محبة في تحقيق مصالحه ومصالحهم، ومن الحفاظ على كرامته ونسبه، وهذا من ثوابت الدين بالضرورة،بوب البخاري في صحيحه: باب مَن أحبَّ أن لا يُسَبَّ نَسبهُ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «استأذنَ حَسّانُ النبيَّ ﷺ في هِجاءِ المشركينَ، قال:كيفَ بنَسبي ؟ فقال: حسّانُ: لأسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ منَ العجينِ»[٣].

بوب البخاري في صحيحه أيضا: باب حبِّ الرجلِ بعض نسائه أفضلَ من بعض.

عن ابنَ عباس رضي الله عنهما في حديث طويل: عن عمرَ رضي الله عنهم أنه دخلَ على حَفصَةَ فقال: (يا بُنيَّة، لا يَغُرَّنك هٰذه التي أعجبها حُسنُهَا حبُّ رسول الله ﷺ إيّاها- يُرِيدُ عائشةَ رضي الله عنها - فَقَصصتُ على رسولِ الله ﷺ فَتَبَسَّم)[٤]. وعن عمرُو بن العاص ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَهُ على جيش ذاتِ السلاسلِ، قال: فأتَيتُه فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: عائشة. فقلتُ منَ الرجال؟ قال: أبوها. قلتُ:

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجنائز- باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، حديث رقم: ١٣٣٩ (٢/ ٩٠) وانظر صحيح مسلم-كتاب الفضائل- باب من فضائل موسى ﷺ،حديث رقم: ٦٢٩٨ (٧/ ١٠٠)

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب الجنائز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب دفن النبي حيث قبض، حديث رقم : ١٠١٨(٣/ ٣٣٨). وانظر: سنن ابن ماجه-كتاب الجنائز-باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ،حديث رقم: ١٦٢٨(٢٠١/٣). صححه الألباني في صحيح مختصر الشمائل.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب من أحب أن لا يسب نسبه، حديث رقم: ٣٥٣١ (٤/ ١٨٥) وانظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة-باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه حديث رقم: ٦٥٤٨ (١٦٤/٧)

(٤) انظر: صحيح البخاري -كتاب النكاح - باب حب الرجل بعض نسائه أفضل من بعض، حديث رقم : ٥٢١٨ (٣٤/٧).

ثمَّ مَن ؟ قال: ثمَّ عمرُ بن الخطاب، فعَدَّ رجالا[١])[٢].فمن حكمة الإسلام وحسن تشريعاته أن جعل المحبة الطبيعية في ميزان الاعتدال، تحذيرا من الإغراق فيها الذي يؤدي إلى الظلم، وبعدا عن الجفاء أو النقص الذي يتولد عنه العجز والخلل، فوجه المسلم أن يأنس في حياته باتباع الهدي النبوي فرحا بمكانه بين أهله في نوم هني، وحب وفيٍّ، ويفرح بمكانه في فسحة القبر ونوره؛ بتحقيق معنى الشهادتين،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «إذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ (أوْ قالَ أَحَدُكُمْ) أتَاهُ مَلَكان أَسْوَدَان أَزْرَقَان. يُقَالُ لإحَدهما الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكيرُ. فَيَقُولاَن: مَا كُنْتَ تَقُولُ في هذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ. أَشْهَدُ أَنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولاَن: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هذَا. ثمَّ يُفْسَحُ لَهُ في قَبْرِه سبْعُونَ ذرَاعاً في سَبْعِينَ. ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فيه. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ. فَيَقُولُ أَرْجِعُ إلَى أَهْلي فأُخْبِرُهُمْ؟ فَيَقُولاَن: نَمْ كَنَوْمَة الْعَرُوس الَّذي لاَ يُوقظُهُ إلا أَحَبُّ أَهْله إلَيْه،حَتَّى يَبْعَثَهُ الله منْ مَضْجَعه ذلكَ»[٣]. والمحبة الحقة ما قامت على العدل وكف الظلم حتى مع أقرب الناس،عَنْ عَبَّاد بْنِ كَثِيرٍ الشَّامِيِّ، عَنِ امْرَأَة منْهُمْ يُقَالُ لَهَا: فَسيلَةُ. قَالَتْ: سَمعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه أَمنَ الْعَصَبيَّة أَنْ يُحبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ؟ قَالَ: «لاَ. وَلكنْ منَ الْعَصَبيَّة أَنْ يُعِينَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ»[٤].

د) محبة إجلال وتقدير واحترام:

إن الحياة لها نظام سائد سيادة على كل الأنظمة البشرية، ألا وهو محبة الإنسان لأخيه الإنسان، يترعه إلى ذلك عرق النسب لآدم عليه السلام، ويدفعه التكوين الخلقي من الله الخلاق العليم، الذي جبله على الاستئناس بأخيه، وهذا الأصل يظهر عندما تدفن العصبية لمجريات أحداث التاريخ، ومعوقات العقائد المنحرفة في نفس الإنسان، وكثيرا ما تظهر المحبة الإنسانية في زماننا، وينادى بإيقاف الحروب المدمرة مثلا،وينادى بإغاثة المنكوبين وإطعام الجائعين، فقد انطلقت هذه المواقف من إجلال للكيان البشري. وأيضا عندما يكون التميز بين البشر حسب ألوانهم وعقائدهم وتاريخهم؛ فإن المحبة تأخذ موضع التقدير والاحترام في موقف التعاون الاقتصادي، والاتفاقات والمعاهدات في ظل المصالح المشتركة و التعايش السلمي بين الناس. وفي ظل المجتمع الواحد تجد التلميذ يكن لمعلمه التقدير والاحترام، والطبيب يعالج مرضاه بكل رحمة وتقدير، وكل ما كان الإنسان أقرب لأخيه الإنسان في العقيدة وأسس الحياة ومبادئها؛ كانت محبة التقدير والاحترام له في تفاضل عن غيره، وكان المسلمون في عهدهم الأول يحبون نصرة أهل الكتاب على المجوس وأهل الأوثان: عَن سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ عَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، في قَوْله تَعَالى: {ألم غُلِبَتِ الرُّومُ في أَدْنَىٰ

(١) وعند الترمذي في سننه من رواية عبد الله بن شقيق عن عائشة عد النبيﷺ بعد عمر، عبد الرحمن بن عوف ﷺ.

(٢) انظر: صحيح البخاري–كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ– اب باب مَنَاقِبِ أَبِي بَكْرٍ،حديث رقم: ٣٦٦٢ (٥/ ٥).

(٣) انظر: سنن الترمذي–كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ–باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم: ١٠٧١ (٣/ ٣٨٣)

(٤) انظر: سنن ابن ماجه–كتاب الفتن–باب العصبية، حديث رقم: ٣٩٤٩ (٥/ ٩٥)، وانظر: مسند الإمام أحمد – مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٦٩٨٩ (٢٨/ ١٩٦) ضعفه الألباني، ومعناه يتوافق مع أحاديث كثيرة في المحبة وكف الظلم .

الأَرْض} قَالَ غلبَتْ وَغلبتْ. قَالَ: كَانَ المُشْرِكُونَ يُحبُّونَ أن يَظْهَر أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّوم لأَنَّهمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ أَوْثَان وَكَانَ المُسْلمُونَ يُحبونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ لأَنَّهم أَهْلُ الكتَاب، فَذَكَرُوهُ لأَبِي بَكْر فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْر لرَسُول الله فقال: «أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلبُونَ» فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْر لَهمْ فَقَالُوا اجْعَلْ بَيْنَنَا وبَيْنَكَ أَجَلاً فإِنْ ظَهرنَا كَانَ لَنَا كَذَا وكَذَا وَإِنْ ظَهرْتُم كَان لَكُمْ كَذَا وكَذَا فَجَعَلَ أَجَلاً خَمْسَ سنينَ فَلَمْ يَظْهَروا فَذَكَروا ذَلكَ للنَّبي فَقَالَ «ألاَ جَعَلْتَه إلى دُون» قَالَ أُرَاهُ العَشْرَ، قَالَ: قَالَ سَعيدٌ: وَالبِضْعُ مَا دُونَ العَشْر، قَالَ ثُمَّ ظَهَرت الرُّومُ بَعْدُ، قَالَ فَذَلكَ قَوْلُهُ تعالى {ألم غُلبَت الرُّوم} إلى قَوْله {وَيَوْمَئذ يَفْرَحُ المُؤْمنُونَ بنَصْر الله يَنْصُرُ من يشاء}. قَالَ سفيانُ سَمعْتُ أَنَّهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْر.(١).

ومن دواعي الصداقة وآثارها الاحترام والتقدير المبني على التوافق، الذي ينمي المحبة بين الأصدقاء، فيأكل من مأكله ويترل في مترله، ويسعى في مصالحه، بل المحبة تنعقد فيما يحوزه المرء من كتاب أو عهد منك أو ممن له الأمر، فيتوثق به في حفظ وده وحقه، وأورد هنا من السنة هذا الموقف المبارك، عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وما كان منه في حق صديقه من احترام وتقدير ضمن ضوابط الشرع الحكيم، وما بذله رسول الله لصاحبه من تحقيق رغبته وحيازته كتاب من رسول الله يحفظ به ماله، عن سَالمُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ أَبُو النَّضْر، قَالَ: جَلَسَ إِلَيَّ شَيْخٌ منْ بَني تَميم في مَسْجد الْبَصْرَة، وَمَعَهُ صَحيفَةٌ لَهُ في يَده – قَالَ: وَفي زَمَان الْحَجَّاج – فَقَالَ لي: يَا عَبْدَ الله، أَتَرَى هَذَا الْكتَابَ مُغْنيًا عَنِّي شَيْئًا عنْدَ هَذَا السُّلْطَان ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا الْكتَابُ ؟ قَالَ: هَذَا كتَابٌ منْ رَسُول الله ﷺ كَتَبَهُ لَنَا: أَنْ لاَ يُتَعَدَّى عَلَيْنَا في صَدَقَاتنَا. قَالَ: فَقُلْتُ: لاَ، وَاللَّه مَا أَظُنُّ أَنْ يُغْنيَ عَنْكَ شَيْئًا، وَكَيْفَ كَانَ شَأْنُ هَذَا الْكتَاب ؟ قَالَ: قَدمْتُ الْمَدينَةَ مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلاَمٌ شَابٌّ بإِبل لَنَا نَبيعُهَا، وَكَانَ أَبي صَديقًا لطَلْحَةَ بْن عُبَيْد الله التَّيْميِّ، فَنَزَلْنَا عَلَيْه فَقَالَ لَهُ أَبي: أَخْرُجْ مَعي فَبعْ لي إبلي هَذه. قَالَ: فَقَالَ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ نَهَى أَنْ يَبيعَ حَاضرٌ لبَاد، وَلَكنْ سَأَخْرُجُ مَعَكَ فَأَجْلسُ وَتَعْرضُ إبلَكَ، فَإِذَا رَضيتُ منْ رَجُل وَفَاءً وَصدْقًا ممَّنْ سَاوَمَكَ أَمَرْتُكَ ببَيْعه، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى السُّوق فَوَقَفْنَا ظُهْرَنَا، وَجَلَسَ طَلْحَةُ قَريبًا فَسَاوَمَنَا الرِّجَالُ حَتَّى إِذَا أَعْطَانَا رَجُلٌ مَا نَرْضَى، قَالَ لَهُ أَبي: أُبَايعُهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قد رَضيتُ لَكُمْ وَفَاءَهُ فَبَايعُوهُ، فَبَايَعْنَاهُ فَلَمَّا قَبَضْنَا مَا لَنَا وَفَرَغْنَا منْ حَاجَتنَا. قَالَ أَبي لطَلْحَةَ: خُذْ لَنَا منْ رَسُول الله ﷺ كتَابًا: أَنْ لاَ يُتَعَدَّى عَلَيْنَا في صَدَقَاتنَا، قَالَ: فَقَالَ: هَذَا لَكُمْ. وَلكُلِّ مُسْلم، قَالَ عَلَى ذَلكَ إِنِّي أُحبُّ أَنْ يَكُونَ عنْدي منْ رَسُول الله ﷺ كتَابٌ. قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى جَاءَ بنَا إِلَى رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ هَذَا الرَّجُلَ منْ أَهْل الْبَاديَة، صَديقٌ لَنَا، وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ تَكْتُبَ لَهُ كتَابًا، أن لاَ يُتَعَدَّى عَلَيْه في صَدَقَته، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: هَذَا لَهُ وَلكُلِّ مُسْلم، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ قَدْ أُحبُّ أَنْ يَكُونَ عنْدَهُ منْكَ كتَابٌ عَلَى ذَلكَ، قَالَ: فَكَتَبَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ هَذَا الْكتَاب.(٢).

---

(١) انظر: سنن الترمذي –كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ– باب ومن سورة الروم، حديث رقم: ٣١٩٣ (٥/ ٣٤٣) وصححه الألباني .

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد–مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٤٠٤ (٣/ ٢٢) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده حسن .

ثانيا: المحبة الضارة المذمومة غير المباحة

إن ما أوردته في بيان أنواع المحبة النافعة بلفظ الحب في الكتاب والسنة فيما سبق، لعله يعطي المعنى الواضح لأنواع المحبة الضارة، يقول الله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[1] حيث يبين الله تعالى في هذه الآيات كيف هدى الله المؤمنين بالرسول ﷺ الذي يدفع عنهم الإثم ويرفع عنهم الحرج بالثبات على الحق والتثبت في شؤون الخلق وأن الله سبحانه من عليهم أن حبب إليهم الإيمان الذي يؤدي إلى الطاعة وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، يقول الطبري في تفسيره ((فأنتم تطيعون رسول الله، وتأتمون به فيقيكم الله بذلك من العنت، ما لو لم تطيعوه وتتبعوه، وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم. وقوله: (وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) يقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فآمنتم (وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ) بالله (وَالْفُسُوقَ) يعني الكذب، (وَالْعِصْيَانَ) يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله ﷺ، وتضييع ما أمر الله به(أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) يقول: هؤلاء الذين حبَّب الله إليهم الإيمان، وزيَّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق)[2] ومن الحقائق العقلية العلمية أن ضد الحق الباطل، وضد الرشد الضلال، فمن تخطى بقلبه وعقله وسلوكه حدود النفع، فإنه يمضي بمحابه إلى المضرة، وهي تتلخص فيما يلي:

١) محبة الشرك والكفر والنفاق وأهلهم اعتقادا وقولا وعملا.

٢) محبة المعاصي، وهي ما لا يرضاه الله.

٣) المحبة الطبيعية المذمومة ومنها: محبة إشباع ورغبة وحاجة، أو محبة إشفاق ورحمة وعطف، أو محبة ألفة وعشرة وأنس، أو محبة إجلال وتقدير واحترام.

أولا: محبة الشرك والكفر والنفاق اعتقادا وقولا وعملا:

إن من تقرير أهل العلم القائم على الدليل من الكتاب والسنة أن محبة الشرك والكفر وأهلهما، أو نصرة الكفار على المؤمنين، أو الفرح بذلك، أو مظاهرتهم ومعونتهم على المسلمين، فإنه كفر أكبر لأن الإيمان يستلزم محبة من يحب الله ورسوله والمؤمنين وموالاتهم، فمن والى المشركين والكافرين فقد ترك واجباً من واجبات الإيمان، ومن أظهره فقد كفر، ومن أبطنه فقد نافق النفاق المخرج من الملة، قال الله تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ۝ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾[3] وخلاصة القول أن المحبة الضارة في

---

(١) سورة الحجرات: ٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٢، ص: ٢٩٠.

(٣) سورة التوبة: ٦٤ – ٦٥.

أشد ضررها تكون في ثلاثة أوجه: المحبة الشركية ومحبة الكفر والكافرين ومحبة النفاق والمنافقين. وللعلماء في كل منها تفصيل أعرضه في أحكام المحبة في المطلب الثاني من هذا الفصل.

ثانيا: محبة المعاصي :

إن معصية الله تعالى توجب البعد عنه سبحانه وتجلب المضرة لصاحبها ولمن يحيا معهم، فإن الطاعة تورث نورا، والمعصية تورث ظلمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1] فمن أحب الخير لنفسه كره المعاصي لتأثيرها على حياة الإنسان في الدنيا والآخرة ولعظم ضررها على القلب فإنها تؤثر عليه كتأثير السموم على الأبدان، وعاقبتها عامة على الفرد والمجتمع، إذا ظهر أمرها وغلب، فمن ضعفت حياة قلبه أو ماتت دخل الفساد لقلبه وعاش بين أضرار الزيغ والضلال، وعاش الناس بين أخطار الوهن والظلام،عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ». فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ ». فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ قَالَ « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ »[2]. فإن الطاعات منبعها حب الآخرة وتفضيلها على الدنيا سواء كانت مصادرها فطرية طبيعية أو مكتسبة أو شرعية عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحبَّ آخرته أضرَّ بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفني»[3]. وإن كانت سائر المعاصي تنطلق من حب الدنيا بين إشباع الرغبات وتلبية الحاجات في سبيل تحقيق الألفة والأنس، تدفعها نوازع الرحمة والشفقة ومتجاوزة بالإنسان حدود المحظورات الشرعية إلى تقدير وإجلال ما دعا الشرع لاجتنابه، إلا أن الفارق بين منبع المحبة ونتيجتها ترتكز على أصلين: أصل فطري ومكتسب وأصل شرعي؛ وعليه تكون الإباحة المرتبطة بالنفع أو عدمها المرتبط بالضر وهذا ما سوف أبينه في أحكام المحبة الطبيعية المذمومة.

ثالثا: المحبة الطبيعية المذمومة:

ومنها محبة إشباع ورغبة وحاجة، أو محبة إشفاق ورحمة وعطف، أو محبة ألفة وعشرة وأنس، أو محبة إجلال وتقدير واحترام. وحيث أن الإسلام قد جاء بتشريعاته الربانية الكاملة فلم يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولم ينه إلا عن مفسدة خالصة أو راجحة، ومن ضمن ذلك أصول المحبة وما يتفرع عنها من مكتسبات تشمل طبيعة الحياة الإنسانية على هذه الأرض؛ و تمييز ذلك يتم من خلال معرفة الضوابط الشرعية الفاصلة بين المحبة الطبيعية المباحة والمحبة الطبيعية المذمومة، وفق توجيهات الشرع في أحكام المحبة في المطلب الثاني التالي.

---

(١) سورة الإسراء: ٧٢.

(٢) انظر: سنن أبي داود–كتاب الملاحم–باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم: ٤٢٩٩ (٤/ ١٨٤).صححه الألباني .

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد – مسند الكوفيين – حديث أبو مو سى الأشعري ، حديث رقم:١٩٩٦٩٧ (٣٢/ ٤٧٠) تعليق شعيب الأرنؤوط : حسن لغيره.وقال الألباني صحيح لغيره .

المطلب الثاني

أحكام المحبة في الكتاب والسنة

تدور الأحكام الشرعية للمحبة مع أنواعها ودوافعها ونتائجها، وجملة الأحكام هذه تتعلق بكل إنسان حسب نيته وحاله، وفي هذا تفصيل دقيق قرره أهل التحقيق من أهل العلم، أوضحه فيما يلي:

أولا: أن المحبة في الأصل جائزة كسائر الصفات والروابط البشرية التي فطر الله الإنسان عليها، والمستلزمة لحياة الناس على الأرض، يستأنس بعضهم ببعض، ويساعد كل منهم الآخر في الخير ليعيش الجميع في حياة هانئة، ويؤدون الغاية من وجودهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1] وقال الله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[2]

ثانيا: أن النية هي أصل المقاصد ومحلها القلب، وعليها مدار القبول في الدين ،ومن أئمة الإسلام من جعل حديث النيات في أول أبواب التصنيف في مؤلفاتهم، عن عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب ﷺ عَلَى المِنْبَر , قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه)[3]. قال البغوي في شرح السنة: (قوله: " إنما الأعمال بالنيات " لم يرد به حصول أعيانها، لأنها حاصلة حسا وصورة من غير أن تقترن بها النية، إنما أراد به صحتها حكما في حق الدين، فإنها لا تحصل إلا بالنية. وقوله: " إنما لكل امريء ما نوى " فيه إيجاب تعيين النية، والنية:قصدك الشيء بقلبك، وهي تستدعي أمورا في أعمال الدين حتى يصح الامتثال، أن تعرف الشيء الذي تقصده، وأن تعلم أنك مأمور به، وأن تطلب موافقة الآخر فيما تعبدك.وفيه دليل على وجوب النية في الوضوء والغسل والتيمم، كوجوبها في سائر العبادات، وهو قول أكثر أهل العلم، وبه قال الشافعي، وذهب جماعة إلى أنه يصح الوضوء والغسل بغير النية، ولا يصح التيمم إلا بالنية، وهو قول الثوري، وأصحاب الرأي.وقال الأوزاعي: يصح الكل بغير النية)[4] والذي عليه جمهور أهل العلم أن مقتضى حق العموم فيها يوجب أن لا يصح عمل من الأعمال الدينية أقوالها وأفعالها فرضها ونفلها قليلها

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢ – ١٧٤.

(٢) سورة الملك: ١٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري–كتاب بدء الوحي–باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث رقم: ١ (١/ ٦).

(٤) شرح السنة ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، بيروت :المكتب الإسلامي ،ط٢، ١٤٠٣هـ ، ج١، ص :٤٠٢ .

وكثيرها، إلا بنية ، وعليه فإن النية أصل المقاصد فلا يحدد صحة المقصد والخير فيه إلا ما يوافق العقل والشرع المحتكم إليه، أما صاحب النية بما يدركه ويخالج قلبه ونفسه تجاه محبوباته وأعماله القولية والبدنية والقلبية، فإن عليه تصويب ذلك وفق مقتضيات الشرع والعقل في الخير، لا كما يرى وفق رغبات نفسه ونزغات شهواته. والمقصود من هذا أن الله جل وعلا يحب من امتثل أمره الشرعي وإرادته الشرعية، أما من كان منساقا مع إرادته الكونية ولم يمتثل للمراد الشرعي فإن هذا ليس محبوبا لله تعالى، فكل شيء في ملكوت الله منساق لمراد الله الكوني وما يقع في ملكوت الله من الكفر والظلم والمعصية ونحو ذلك، هذا مُبْغَض لله جل وعلا وممقوت منه سبحانه.

ثالثا: أن أنواع المحبة تدور في ثلاثة أقسام:

١) محبة الله ومحبة فيه، وهي أصل الإيمان والتوحيد والطاعة.

٢) محبة مع الله، وهي أصل الشرك والكفر والنفاق والمعصية.

٣) محبة فطرية من أصل الخلق، ومحبة مكتسبة من التعامل مع الخلق.

وعلى هذا التقسيم دارت الأحكام الشرعية في أنواع المحبة:

١) محبة الله هي أصل الإيمان ومحبة الرسول ﷺ لا يكمل الإيمان إلا بها، وكلاهما من أوجب الواجبات الشرعية، ومحبة الله تستلزم محبة أهل طاعته من الأنبياء والمؤمنين والصالحين، والأصل في الإيمان توحيد الله والتصديق بما جاءت به رسله، والعمل بأمره واجتناب نهيه، إلا أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وكذلك الأصل في بني آدم فقد جبلهم الله على التوحيد وما فطرهم عليه من الصفات والرغبات عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِي أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِه « أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ. قَالَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، – قَالَ – وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ الضَّعِيفُ الَّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَتْبَعُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً، وَالْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ، وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ

أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ، وَالشِّنْظِيرُ[١] الْفَحَّاشُ»[٢]. وعليه فإن المؤمن الذي يخلط عملا صالحا وآخر سيئا فيه خصلتان: خصلة تقتضي محبة الله عز وجل له، وتلك الخصلة هي الإيمان الذي معه، وما يقوم به من الطاعة، وخصلة تقتضي عدم محبة الله جل وعلا له، وتقتضي بغض الله له لما معه من شعب الكفر وشعب المعصية. فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أن محبة الله جل وعلا، تتفاضل فيحب بعض الناس أعظم من محبته للبعض الآخر، ويفضل بعضهم على بعض كل حسب إيمانه وعمله، وبمشيئة الله وقدرته وحكمته.

٢) محبة مع الله وهي أصل الشرك والكفر والنفاق والمعصية:

أ) المحبة الشركية: وهي محبة الشرك كدين، واتخاذ الأنداد والنظراء والأكفاء والشفعاء من دون الله، وصرف العبادة لهم. وهي المحبة المستلزمة للذل أو الطاعة والخضوع لغير الله، والمؤدية لفعل الشرك، كأن تدفعك محبة شخص إلى طاعته في الشرك الأكبر، أو تدفعك محبته إلى عبادته، كالذبح له أو السجود له أو الاستغاثة به فيما لا يملك، وهذا النوع شرك أكبر. يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[٣]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله: (ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الدين لله، ولا أضر عليه من الإشراك)[٤] وقد فصل العلماء في بيان الشرك وعظموا من خطره وشأنه، كونه أعظم المعاصي وأكبر الذنوب ، وأكد الله أنه لا يغفره دون سائر الذنوب، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٥] والشرك قسمان: الشرك الأكبر والشرك الأصغر: والفرق بينهما يتضح في صور كل منهما، ويعلم من مصير صاحبهما: فإن الشرك الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار، وأنه يحبط الأعمال بالكلية، وأن صاحبه حلال الدم والمال وفق ضوابط الجهاد في الإسلام، وأن الله تعالى لا يغفره إلا بالتوبة منه قبل الممات. أما الشرك الأصغر: فإنه لا يخلد صاحبه في النار، و لا يحبط الأعمال بالكلية، وأن صاحبه لا يحل دمه وماله، وأن صاحبه بين المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له. ولكل من القسمين فروع وصور أوضحها فيما يلي:

أولاً: الشرك الأكبر: وهو أن يجعل لله نداً في ربوبيته، أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة.وتتعدد أنواع الشرك الأكبر:

---

(١) الشنظير: سيء الخلق. من (شنظر) شَنْظَر الرجلُ بالقوم شَنْظَرَة شتم أَعراضهم، انظر لسان العرب لابن منظور (٤/٤٣١) .

(٢) انظر: صحيح مسلم – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم: ٧٣٨٦ (٨/١٥٨).

(٣) سورة البقرة: ١٦٥.

(٤) الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة ، الأردن: مكتبة المنار ط١، ١٤٠٧هـ، ص: ٨٣.

(٥) سورة النساء: ١١٦.

١) شرك العبادة: وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله: كالدعاء والنذر والذبح وغيرها من العبادات.

٢) شرك المحبة: وهو أن يتخذ أنداد من دون الله، يحبونهم كحب الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[١]

ومحبة المشركين الأنداد جاءت في التفسير[٢]على وجهين:

الوجه الأول: ويعني أن يحبّ المشركون الأنداد كحب المشركين لله، ونقل عن ابن كيسان والزجاج: أي يسوون بين الأصنام وبين الله تعالى في المحبة. وقال أبو إسحاق: وهذا القول الصحيح.

الوجه الثاني: ومعناه أن يحب المشركون الأنداد كحب المؤمنين لله. نقل عن مجاهد يرحمه الله.

والوجه الأول أظهر، والكاف في قوله (كَحُبِّ اللَّهِ) بمعنى مثل؛ يعني يحبونهم مثل حب الله وهي كاف المساواة كما قال جل وعلا مخبرا عن قول أهل النار: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] قال العلماء: سووهم برب العالمين في المحبة والعبادة، ولم يسووهم في الخلق والرزق وإفراد الربوبية.

٣) شرك الهوى: وهو أن يقدم المرءُ هواه على طاعة الله، فإن كان هواه في الشرك والكفر فهذا شرك وكفر مخرج عن الملة، وإن كان هواه في المعاصي دون الشرك والكفر، فهو نوع من الشرك، حيث أشرك هواه مع الله عز وجل، وهذا النوع لا يخرج من الملة، بل إن المعاصي كلها لا تكون إلا عن طريق الهوى، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٤] قال البغوي في تفسيره (قال ابن عباس والحسن وقتادة: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئًا إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم الله. وقال آخرون: معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه)[٥]

---

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن،: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢ ، ١٣٨٤هـ، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٣) سورة الشعراء: ٩٦ – ٩٨.

(٤) سورة الجاثية: ٢٣.

(٥) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ، ج٧ ، ص: ٢٤٥.

٤) شرك الطاعة: وذلك يكون بطاعة الإنسان في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، فقد جعل الله ذلك شركاً بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١] وقال الله سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢] وقد جاء في تفسير هذه الآية أن عدي بن حاتم قال: يا رسول الله لسنا نعبدهم. فقال رسول الله ﷺ: "ألم يكونوا يحلون لكم الحرام فتحلونه ويحرمون الحلال فتحرمونه" قال: بلى. قال: "تلك عبادتهم"[٣].

ثانياً: الشرك الأصغر: وهو ما جاء في نصوص الشريعة بتسميته شركاً، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر.ومن صوره: الحلف بغير الله، ويسير الرياء، وقول: ما شاء الله وشئت؛ ولولا الله وفلان، وكذا طلب العلم لغير الله ونحو ذلك مما ينافي الإخلاص. وصاحب الشرك الأصغر لا يخلد في النار، ولكنه معرض للوعيد وصاحبه على خطر عظيم، وقد يصل بصاحبه إلى الشرك الأكبر، فيجب التحرز منه، وله أنواع في قسميه:

ينقسم الشرك الأصغر إلى قسمين:

أولاً: الشرك الأصغر الظاهر: وهذا الشرك على نوعين :

١) شرك في الأفعال:كلبس الحلقة والخيط ونحوهما وتعليق التمائم والحروز والطلاسم من أجل اتقاء العين أو اتقاء الجن أو المرض أو المصائب ونحو ذلك، فهذا شرك أصغر، ولكنه مشروط؛ فإن اعتقد أن هذه الأشياء تستقل في النفع والضر فقد صار شركاً أكبر. أما إن اعتقد أنها مجرد سبب فقد جعل ما ليس سبباً سبباً؛ فهذا شرك أصغر.

٢) شرك في الأقوال: وذلك كالحلف بغير الله مثل أن يحلف بأبيه أو جده أو الكعبة أو وحياتي وحياة فلان، أو يحلف بالنبي ﷺ، وكذلك قول البعض مطرنا بنوء كذا ، وكذا قول: ما شاء الله وشئت، أو لولا كذا وكذا وما شابه ذلك.

ثانياً: الشرك الأصغر الخفي: والمراد به شرك النيات، وهو عام وشامل لكل من الأفعال والأقوال، وهذا القسم أكثر أنواع الشرك وقوعاً، حيث لا يسلم منه إلا من رحم الله. فيجب على المسلم أن يجدد نيته،

---

(١) سورة الشورى: ٢١.

(٢) سورة التوبة: ٣١.

(٣) انظر: المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم : ٢١٨(٩٢/١٧).قال الألباني في السلسلة الصحيحة : ((أما إنّهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه، [فتلك عبادتهم]). أخرجه البخاري في "التاريخ " (١٠٦/١/٤) والترمذي في "السنن " (٣٠٩)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢١٨/٩٢/١٧ و ٢١٩)، وابن جرير في "التفسير" (١٠/ ٨٠– ١٨)، والبيهقي في "السنن " (١١٦/١٠)) وضعف إسناده ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب).

ويخلص لله عمله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ »[١].

ب) المحبة الكفرية وهي محبة الكفار لدينهم، أو محبة المسلم للكفار ودينهم. وهذا أصل الكفر. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٢] وعن أنس ﷺ، قال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»[٣] فإن المحبة كما هي لأهل الإيمان من الإيمان فهي في حق أهل الكفر كفر، والمحبة في هذا الحديث تعتبر هنا من باب الكفر لا من باب الشرك. حيث أن المحبة الكفرية هي محبة الكفر والإلحاد وأهله ومعاداة الدين الحق، وهي محبة تستلزم التكذيب والاستكبار والإعراض والعداء المؤدية إلى فعل وقول الكفر، ومنها محبة الكفار بعضهم لبعض، أو محبة دين الكفار فهذا كفر لمناقضته واجب الإيمان بالله ودينه الحق، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٤] قال الشيخ السعدي في تفسيره : (قول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } اعملوا بمقتضى الإيمان، بأن توالوا من قام به، وتعادوا من لم يقم به.و { لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ } الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم { أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا } أي: اختاروا على وجه الرضا والمحبة { الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ }{ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } لأنهم تجرؤوا على معاصي اللّه، واتخذوا أعداء اللّه أولياء، وأصل الولاية: المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء، موجب لتقديم طاعتهم على طاعة اللّه، ومحبتهم على محبة اللّه ورسوله.ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة اللّه ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما)[٥].

ج) محبة المنافقين: وهي إبطان محبة غير الإسلام، كالكفر والشرك وأهلهما باطنا، وإعلان الإسلام ظاهرا، أو المعاونة على غلبة أهل الإسلام وهدم دينهم، والسعي لتحقيق الأهواء الباطلة وملذات الدنيا بالمعاصي الظاهرة و الباطنة. ذكر البغوي في تفسيره حقيقة المحبة عند أهل النفاق بقوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾[٦] أي: هم على دين واحد. وقيل: أمرهم واحد بالاجتماع على

---

(١) انظر: صحيح مسلم – كتاب الزهد والرقائق – باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم : ٧٦٦٦ (٨/٢٢٣).

(٢) سورة المائدة: ٥١.

(٣) انظر: صحيح البخاري–كتاب الأدب– باب علامة حب الله عز وجل، حديث رقم: ٦١٦٨ (٨/ ٣٩) وانظر: صحيح مسلم– كتاب البر والصلة والآداب–باب المرء مع من أحب حديث رقم: ٦٨٨٨ (٨/ ٤٣).

(٤) سورة التوبة: ٢٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٣٣٢.

(٦) سورة التوبة: ٦٧.

النفاق،{يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ} بالشرك والمعصية، {وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} أي عن الإيمان والطاعة،{وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} أي: يمسكونها عن الصدقة والإنفاق في سبيل الله ولا يبسطونها بخير، {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} تركوا طاعة الله، فتركهم الله من توفيقه وهدايته في الدنيا، ومن رحمته في الآخرة، وتركهم في عذابه، {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}) وقد جاءت سورة التوبة التي تسمى الفاضحة ببيان ما عليه أهل النفاق، وحذرت المؤمنين من شرهم وما يخفونه من خبث وعداوة للمسلمين وأوجب الشرع بغض النفاق وأهله ومعاملتهم على الإسلام فيما يبدوا ظاهرا منهم، مع أخذ الحذر من عداوتهم قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1]. وقد قسم العلماء النفاق إلى نوعين:

أولاً: النفاق الاعتقادي، ويخرج صاحبه من ملة الإسلام، قال الله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[2] وينقسم النفاق الاعتقادي إلى أنواع :

١) تكذيب الرسول ﷺ أو تكذيب بعض ما جاء به.

٢) بغض الرسول ﷺ أو بغض ما جاء به.

٣) محبة انخفاض الإسلام – دين الرسول ﷺ – وكراهية انتصاره.

ثانياً: النفاق العملي: وهو من كبائر الذنوب، ولكنه لا يخرج صاحبه عن ملة الإسلام. ومن أنواعه: الكذب والغدر والخيانة وإخلاف الوعد والخصام الفاجر. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)[3] ومنه أيضاً التخلف عن صلاة الفجر والعشاء في جماعة المسلمين لغير عذر شرعي. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)[4].

---

(١) سورة المنافقون: ٤.

(٢) سورة التوبة: ٦٤ – ٦٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري–كتاب الإيمان–باب علامة المنافق، حديث رقم: ٣٤ (١/ ١٦). وانظر: صحيح مسلم–كتاب الإيمان–باب بيان خصال المنافق، حديث رقم :٢١٩ (١/ ٥٦).

(٤) انظر: سنن ابن ماجه –كتاب المساجد والجماعات–باب صلاة العشاء والفجر في جماعة، حديث رقم: ٧٩٧(١/ ٨٣٢) ، وانظر: مسند الإمام أحمد–مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ١٠٠١٦ (١٦/ ٧١) صححه الألباني ، وفي تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

د) محبة المعاصي :

العصيان: خلاف الطاعة وهو ترك الانقياد لأوامر الله تعالى، وجاءت المعصية في القرآن الكريم على عدة ألفاظ منها: الإثم والخطيئة والسيئة والحوب والعتو و الكبر والشرك والكفر والنفاق، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وأقوال العلماء من السلف والخلف على انقسام المعصية إلى كبيرة وصغيرة، وهذا ما يؤكده قول الإمام ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾[١]: بقوله (ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي: لا يتعاطون المحرمات والكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[٢] وقال هاهنا: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ}. وهذا استثناء منقطع؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال)[٣]، ويؤكده أيضا قول القرطبي يرحمه الله: (فكل ذنب عظَّم الشرع التوعد عليه بالعقاب وشدَّده، أو عظَّم ضرره في الوجود كما ذكرنا فهو كبيرة وما عداه صغيرة)[٤] وأنكر طائفة من أهل العلم هذا التقسيم وقالوا إن المعاصي كلها كبائر لأن المعصية في حق كبرياء الله وعظمته كبيرة مستدلين بما رواه البخاري عن أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّﷺ وسلم الْمُوبِقَاتِ)[٥] وقول هذه الطائفة مفضول لأنه يعارض أصل الأدلة السابقة وظاهرها بل يعاضد القول بتقسيم المعصية لمن دقق النظر لأنه يذكر الصغائر والمحقرات ضمنا كما أورد ابن حجر يرحمه الله في الفتح: (كنا نعدها ونحن مع رسول الله ﷺ من الكبائر وكأنه ذكره بالمعنى وقال ابن بطال: المحقرات إذا كثرت صارت كبارا مع الإصرار)[٦]

٣) محبة جائزة في الأصل وهي أنواع:

الأول: محبة طبيعية فطرية أو مكتسبة، محبة إشباع ورغبة وحاجة، كمحبة المال والزوجة والصحة والنوم وغيرها.

---

(١) سورة النجم: ٣٢.

(٢) النساء: ٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ٤٦٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن،: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢ ، ١٣٨٤هـ، ج ٥، ص: ١٦٠ – ١٦١.

(٥) انظر: صحيح البخاري –كتاب الرقاق–باب مايتقى من محقرات الذنوب، حديث رقم :٦٤٩٢ (٨/ ١٠٣)

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ١١، ص:٣٣٠.

الثاني: محبة طبيعية فطرية أو مكتسبة، محبة إشفاق ورحمة وعطف، كمحبة الوالد لولده، ومحبة المسكين والمريض وغيرهم.

الثالث: محبة طبيعية فطرية أو مكتسبة، محبة ألفة وعشرة وأنس، كمحبة الوطن والأصدقاء والحِرَف والقراءة وغيرها.

الرابع: محبة طبيعية فطرية أو مكتسبة، محبة إجلال وتقدير واحترام، كمحبة الولد لوالده، ومحبة الطالب لمعلمه ومحبة الرعية للراعي وغيرهم.وهذه المحاب جائزة في الأصل لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1] ووجه الدلالة: أنهم ذُموا في الآية؛ لأنهم أحبوها أكثر من محبة الله ورسوله وجهاد في سبيله؛ لا لأنهم أحبوها. وهذه المحبة – الطبيعية – تجري فيها أحكام التكليف الخمسة[2] بموجب نية المحب وأمر محبته وطبيعة المحبوب ونوع محبته، وفق مقتضيات الشرع وأدلته، والأصل فيها أنها مباحة. وقد تنتقل الإباحة للحرمة وضابطها في ذلك: أن تدفعك المحبة الجائزة إلى فعل محرم أو ترك واجب بمحبة وسائلة أو تحقيق غاياته، كشراء الملاهي المحرمة محبة لها أو محبة للأولاد عند طلبهم إياها، وشرب الخمر محبة لها أو محبة للزوجة مثلاً عند طلبها إياها. وهذا في فعل المحرم، ومثال المحبة في ترك الواجب: كأن تترك الزكاة أو تنقصها محبة للمال، أو تترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محبة للمنصب. وإن دفعته المحبة إلى فعل المكروهات وترك المستحبات، فإنما تأخذ حكم ما دفعته إليه، فتكون مكروهة بحسب ما ترتب عليها من فعل المكروهات وترك المستحبات.

---

(١) سورة التوبة: ٢٤.

(٢) الواجب والمندوب والمباح والمحظور والمكروه.